مجالس إيليا مطران نصيبين
نشرها الاب لويس شيخو اليسوعي
(نصوص ودراسات)

إعداد وتعليق وتصحيح :
أ٠د٠ محمد كريم ابراهيم الشمري
عميد كلية الآداب / جامعة القادسية

الخلاصة :

سبق وان نشرنا بحثنا المعنون : ((مجالس مارايليا مطران نصيبين مع الـوزير ابـي القاسـم الحسين بن علي بن الحسين بن علي بن محمد المغربي)) ، في العدد (١-٢) من المجلد (١١) مـن مجلة القادسية للعلوم الانسانية الغراء ، التي تصدرها كلية الاداب / جامعة القادسية ، على الصـفحات ١١-٢٦ .

وفي بحثنا هذا فضلنا – اتماماً للفائدة – اطلاع القراء الكرام على نصـوص ووقـائع المجـالس السبعة التي نشرها الأب لويس شيخو اليسوعي في الاعداد (١-٥) من مجلة المشرق البيروتية الغراء الصادرة سنة ١٩٢٢م ، لما تمثله من اهمية بالغة توضح الحوار العلمي البنّاء وتعكس روح التسـامح بين الأديان السماوية ، كما تجسد دور وفضل المسلمين في موكب الحضارة الانسانية ، وقد عززنـا بحثنا هذا ببعض البحوث والدراسات القيمة التي نشرت عن مارإيليا (برشينايا) مطـران نصـيبين ، وماكتب عن هذه المجالس السبعة على شكل ملاحق في نهاية البحث ، وركزنا على مانشر حولها من دراسات قبل طبع هذه المجالس التي نشرتها مجلة المشرق البيروتية سنتي : ١٩٠٢ ، ١٩٠٦، مـع دراسات نشرت في مجلات اخرى .

كان دورنا في نشر هذه المجالس الاعداد والتعليق والتصحيح لكل ماورد من اخطاء وهنات ثبتناها في هوامش خاصة ، رمزنا اليها : (م.ك) ، أي اشارة الى اسمنا مختصراً ، فضلاً عن نقل هـوامش وتعليقات الأب لويس شيخو المثبتة اصلاً عند نشره المجالس ، وقد حملـت الرمـز (ل.ش) ، كمـا صححنا وتثبتنا من الآيات القرآنية الكريمة الواردة في متن هذه المجالس وأشرنا الى الأصل الوارد فيه الخطأ في اسم ورقم الآية القرآنية ، فضلاً عن الخطأ الوارد في بعض الكلمات داخـل نـص الآيـة القرآنية ، انطلاقاً من الأمانة العلمية وتوخي الدقة المتناهية في هذه النصوص القرآنية المقدسة ، داعين الله ان يوفقنا لما فيه خدمة تاريخنا وتراثنا العربي- الاسلامي المجيد الذي شـع نـوره علـى الأمـم والشعوب والأديان الاخرى في أرجاء المعمورة .

مجالس ايليا مطران نصيبين
نشرها الاب لويس شيخو اليسوعي[١]

توطئة :

قد اثبتنا سابقاً في المشرق (٥[١٩٠٢]:٣٣٧-٣٤٣) ترجمة ايليا مطران نصـيبين المعـروف بابن شينا او ابن سنّي المتوفى سنة ١٠٤٩للميلاد.[٢] وسردنا هناك جدول تآليفه العربية والسريانية .ثم روينا عنه رسالتين فريدتين نقلهما حضرة الاب لويس معلوف عن بعض مخطوطات مكتبة اوكسـفرد الشرقية وهما رسالته في وحدانية الخالق وتثليث اقانيمه ثم رسالته المعنونة بـ : نعيم الآخرة تجدهما

في مجموع المقالات الدينية القديمة لبعض مشاهير الكتبة النصارى في الطبعة الثانية منه (١٩٢٠ ص١٢٤-١٣٢) .

ومن التآليف التي نوَّهنا بها في ترجمته الرسالة التي وجهها الى ابي العلاء صاعد بن سهل الكاتب يذكر فيها سبعة مجالس جرت بينه وبين الوزير ابي القسم [القاسم] الحسين بن علي المغربي لما قدم الى نصيبين سنة ٤١٧(١٢٠٦م) (٣) وسأل اسقفها ان يشرح له المعتقدات النصرانية ففعل وكانت هذه المجالس كمحاورات دينية عاد ايليّا بن شينا فكتبها وارسلها سنة ٤١٨هـ الى ابي العلاء صاعد وكان ابو العلاء اخا الأسقف ايليا وأحد أطباء الوزير ابي القسم وكان الوزير توفي في تلك الأثناء .

ومن هذه المجالس عدَّة نسخ ثلث [ثلاث] منها في مكتبتنا سبق لنا وصفها (اطلب المشرق٩[١٩٠٦]:٣٧٥-٣٧٦). وقد وجدنا في حلب في مكتبة الموارنة نسخةً حسنة منها موسومة بالعدد ٢٥٨تاريخها سنة ١٩٤٢يونانية الموافقة سنة ١٦٣٠مسيحية فقابلنا نسخنا بها فاستفدنا من رواياتها .

وها نحن نثبت هذه المجالس في مجلتنا إلاّ المجلس الثاني فإنَّنا لانروي منه الاّ قسماً فقط لاشتماله على البدعة النسطورية في تجسّد السيد المسيح وذلك مايقتضي تفنيداً مطولاً. واستنادنا في روايتنا الى أقدم نسخنا الراقية الى القرن الثالث عشر . وعلى الله الاتكال .

بسم الأب والابن وروح القدس الإله الأوحد

رسالة

انشأها الاب أنبا ايليّا مطران نصيبين واعمالها المعروف بابن السنّي وارسلها الى الاستاذ ابي العلاء صاعد بن سهل الكاتب يذكر فيها المجالس التي جرت بينه وبين الوزير ابي القسم [القاسم] الحسين بن علي المغربي رحمه الله في الشرع وغيره ، وعددها سبعة فصول .

قال الانبا ايليا المطران في صدر رسالته المخلص في امانة ديانته والباذل دنياه في طلب آخرته الى الأخ الجليل الكبير المؤتمن ابي العلاء صاعد بن سهل اطال الله بقاءه وادام له العز والتأييد والسعادة والتوفيق .

من الخاطيء ايليا خادم سيدنا يسوع المسيح بنصيبين يهدي اليك السلام ويخصك بالدعاء والاكرام ويرغب الى الله سبحانه في حراستك ودفع الأسواء عنك . وكان كتابي تقدّم اليك ادام الله توفيقك أذكر فيه حال المجالس التي جرت بحضرة الوزيرابي القاسم الحسين بن علي المغربي رحمه الله واني علقت جملة كل ماجرى في كل مجلس فيها لأشرحن لك مفصلاً ماوقع التمكن من شرحه لتقف عليه لعلمي بشوقك الى معرفته. وتأخر ذلك الى هذه الغاية لعذر لا لإخفائه عنك وانا اشرح في هذه الرسالة ماجرى في مجلسٍ مجلسٍ لتقف عليه بمشيئة الله وعونه .

الفصل الأول

يتضمن ذكر ماجرى في المجلس الاول من الكلام والمسائل والجوابات

في التوحيد والتثليث

اتفق دخول الوزير رحمه الله الى نصيبين يوم الجمعة السادس والعشرين من جمادى الاولى من السنة الماضية وهي السنة سبع عشرة واربعمائة (حزيران ١٠٢٦م) ودخلت اليه يوم السبت بعده وماكنت رأيته قبل ذلك فقربني واكرمني واجلسني بالقرب منه . وبعد ان دعوتُ له وهنأته بقدومه نهضت لأنصرف فاستوقفني وقال لي : اعلم انَّ لي مدةً طويلة أوثر الاجتماع بك والاستكثار منك واريد ان يكون حضورك وانصرافك من عندي في كل وقت على ايثاري واختياري .

فأجبته بالسمع والطاعة وجلست وبعد بسطه وتأنيسه لي واستعلامه اخباري ومجاري اموري وذكر العلماء وأهل العلم قال لي : اعلم ان اعتقادي كان قديماً في النصارى اعتقاد من يحقق انهم كفار ومشركون وامّا الآن فانا أشك في كفرهم و شركهم لآيةٍ عجيبةٍ شاهدتها من مذهبهم وأشك ايضاً في توحيدهم لأشياء فظيعة يعتقدونها تقتضي ان يشك فيها انهم غير موحدين .

قلت: مالذي شاهده الوزير اطال الله بقاءه يقضي الشك في كفرهم ومالذي يعتقدونه مما يوجب الشك في توحيدهم .

قال : امّا ماشاهدته ممّا يوجب الشك في كفرهم فهو اني عند كوني في الدفعة الاولى في ديار بكر توجهت الى بدليس في مهمات عرضت لي فهجم بي عند وصولي اليها مرض عظيم سقطت منه قوتي وبطلت شهوتي وأيست من نفسي فخرجت منها راجعاً الى ميافارقين حتى اذا قضى الله سبحانه علي بما لابدَّ منه كان بها أو بالقرب منها . وكانت نفسي لاتقبل شيئا من الطعام ولاالشراب فتكلفت من تعب الطريق والركوب مشقة عظيمة . وكنت اسير في كل يوم مسافة قريبة والضعف يتزايد والقوة تنقص والمرض يشتد ويصعب فوصلت الى دير في الطريق يعرف بدير مارماري وانا اضعف مماكنت فيه والمرض اقوى مما كان .

فساعة نزولي فيه وتأملي ماأنا عليه من الضعف استدعيت شيئاً من الشراب وتناولته رجاء ان يمسك قوتي فمع حصوله في معدتي ألقيته فازدادت نفسي ضعفاً وأيستُ منها وقلق جميع من كان معي . فحضرني الراهب الموسوم بخدمة الدير ودعاني وأحضر معه شيئاً من الرمان وسأل الغلمان ان يفتُّوه ويعرضوا عليَّ شيئاً منه . فعرّفوه اني لست استطيع ان اتكلم ولاأسمع الكلام وان نفسي لاتقبل شيئاً من الطعام ومعدتي لايثبت فيها شراب ولاغيره . فألح عليهم وقال لهم : احبُّ ان تحملوه الى ان يستعمل ولو يسيراً من هذا الرمّان فانّه ينتفع منه ببركة هذا الدير المبارك . فأومأ اليّ بعض الغلمان بقبول قوله تشبثاً بالعافية وتناولت من الرمان شيئا يسيراً فثبت في معدتي فاشتدت ، فلم أزل استعمل منه شيئاً بعد شيء حتى قويت نفسي ونهضت شهوتي وكان الراهب قد طبخ للغلمان عدساً فاستدعيت منه فأكلت بشهوةٍ وقمت في الحال وتمشيت متفرجاً على السطح ورجعت الى حال الصحة . فتحيرت وتعجبت انا وكل من معي على ماجرى . وانا الآن اذا تذكرت ذلك اعجب منه واعتقد انه آيةٌ عجيبة أعيدها في كل وقت وفي كل مكان على كلّ احد . فهذا ممّا اوجب لي الاعتقاد في النصارى انهم ليسوا بكفار ولامشركين .

وأما ماأوجب ان اعتقد فيهم انهم مشركون فهو انهم يعتقدون ان الله تعالى جوهر ثلاثة اقانيم فيعتقدون ثلاثة آلهة فيعبدون ثلاثة ارباب ويعتقدون ان عيسى المأخوذ من مريم هو أزلي خالق غير مخلوق .

قلت : كلا لاتعتقد النصارى ثلاثة آلهة ولاثلاثة ارباب ولايعتقدون ان الناسوت المصطفى المأخوذ من مريم هو أزلي غير مخلوق .

قال : ألستم تقولون ان الله تعالى جوهر ثلاثة أقانيم أب وابن وروح القدس؟

قلتُ: نعم كذلك نقول .

قال : اولستم تقبلون الامانة التي دونّها وقرَّرها الثلثمائة والثمانية عشر؟

قلتُ : نعم نقبلها ونعظمها .

قال : فقولكم ان الله جوهر ثلاثة اقانيم أب وابن وروح قدس كفر واشراك بالله والامانة التي قرّرها الثلثمائة والثمانية عشر ودونوها تتضمن ان يسوع الذي هو عندكم البشري المولود من مريم هو ربٌ ازلي خالق غير مخلوق .

قلت ان كان غرض الوزير من هذا القول معرفة مذهبنا وبراءة ساحتنا ممّا نُسب الينا من الشناعة اوردتُ ماعندي وان كان غرضه المناظرة والمجادلة فانا أسأله ان يعفيني من ذلك وينعم عليَّ بالعدول عنهُ الى مايتعلق بالشرع والمذهب .

قال :والله العظيم ماقصد في ماخاطبك به الاَّ معرفة اعتقادكم وبراءة ساحتكم ممّا ينسب اليكم ممَّا ظاهره شنيع وربما كان باطنه جميلاً ، وان سروري في ماتورده ممّا ينفي عنكم الشك مثل سروري بفائدة كثيرة انالها ، فانني اعتقد ان كل نصراني موحدٍ محمودٌ فائزٌ وان كان لايعترف بنبوة محمد بن عبد الله [صلى الله عليه وآله وسلم]. وانما من شرط الاستفهام التقصي في السؤال والمعارضة فلاتتسب مايرد من ذلك مني الاّ الى الاستقامة ولا الى حالٍ آخر .

فشكرته وقلت : قد اجمع الشرعيُّون العقليُّون انَّ للعالم علَّة أوجَدَتْهُ وهي مدّبرة لهُ، وليس تخلو هذه العلّة من أن تكون امّا قائمة بنفسها وإمّا موجودة في غيرها اذ ليس شيء موجود إلاوهوقائم بنفسه وإما موجود في غيره. ومن المحال ان يكون خالق كل شيء موجوداً في شيء آخر كما توجد الاعراض .فاذا بطّل ان يكون موجوداً في غيره ثبت انهُ قائم بنفسه. ونحن نسمي القائم بنفسه جوهراً.

قال : فقولكم انَّ الله جوهر يؤدي الى القول بانَّ الله متحيز وقابل للأعراض لأنّنا لانجد في المُشاهَد جوهراً الاَّ متحيزاً وقابلاً للاعراض .

فقلتُ : وقول المسلمين اعزَّهم الله انَّ الله قائم بنفسه يؤدي الى القول بانَّ الله متحيز وقابل للأعراض لأننا لم نجد في المُشاهَد قائماً بنفسه الاّ متحيزاً وقابلاً للأعراض . فان ألزمنا المسلمون القول بانَّ الله متحيز وقابل للأعراض لاجل قولنا انه جوهر اذ لم يجدوا في المُشاهَد جوهراً الاّ متحيزاً قابلاً للاعراض الزمناهم القول بانَّ الله متحيز وقابل للاعراض لاجل قولهم ان الله موجود ليس بعرض اذ ليس يوجد في المُشاهد موجود ليس بعرض الاّ متحيزاً وقابلاً للاعراض . فان كان ذلك لايلزمهم كذلك لايلزمنا نحن القول بانَّ الله متحيز او قابل للاعراض لاجل قولنا بانَّ الله جوهر .

قال : فاذا كان دليلكم على انَّ الله جوهر كونه قائماً بنفسه اذ لم يجدوا في المشاهد قائماًبنفسه الاّ جوهراً لزمكم القول بانّ الله تعالى جسمٌ اذ لايوجد في المشاهد جوهر الاَّ جسماً .

قلت : واذا كان دليل المسلمين على انَّ الله مستغنٍ بوجوده عن كل محل يحل فيه كونه قائماً بنفسه اذ لم يوجد في المُشاهَد قائمٌ بنفسه الا مستغنياً بوجوده عن محل يحل فيه لزمهم القول مثلنا بانَّ الله جسمٌ لكونه قائماً بنفسه إذ لايوجد قائم بنفسه إلا جسماً . وكذلك اذا لزمنا القول بأن الله جسم لاجل قولنا انه جوهر اذ لايوجد في المشاهد جوهر الاَّ جسماً لزم ايضاً المسلمين القول بانَّ الله تعالى جسم لاجل قولهم انه حي فاعل قادر عالم اذ لايوجد في المشاهد حي فاعل قادر عالم الاّ جسماً . واذا كان ذلك لايلزمهم كذلك لايلزمنا نحن ايضاً القول ان الله جسم لأجل قولنا انه جوهر .

قال : ان المسلمين لم يلزمهم القول بانَّ الله تعالى جوهر لحالّين ، احدهما انّ حقيقة الجوهر معناه عندهم هو ماشغل حيزاً او قبل عرضاً. والباريء تعالى غير متحيز وغير قابل عرضاً . والآخر أن كتابهم ولُغتهم لم يطلقا عليه اسم الجوهر فلذلك لم يلزمهم القول بأن الله جوهر .

قلتُ : وكذلك النصارى انَّما يلزمهم القول بان الله جوهر لحالتين : احداهما لأنَّ حقيقة الجوهر ومعناه وحده عندهم هو القائم بنفسه والباريء تعالى قائم بنفسه . والحالة الاخرى انَّ كتابهم ولغتهم أطلقا عليه اسم الجوهر فلذلك لزمهم القول بأنَّ الله جوهر عبارةٌ عن القائم بنفسه ، وانما عبَّروا عن القائم بنفسه بالجوهر لأنهم لم يجدوا في لغة العرب لفظةً تصلح ان يعبروا بها عن القائم بنفسه غير اسم الجوهر ولذلك يسمُّون كل موجود قائم بنفسه جوهراً . قديماً كان ذلك الموجود اومحدثاً بسيطاً او مركباً , شاغلاً حيزاً او غير شاغلٍ حيزاً ، قابلاً عرضاً او غير قابلٍ عرضاً . فإن انكر المسلمون حفظهم الله تسميتنا الباريء سبحانه جوهراً عبارة عن القائم بنفسه فليدلُّونا على اسمٍ في لغتهم ينوب عن القائم بنفسه نيابة اوقع من اسم الجوهر لنستعمله بدلاً من الجوهر او يجيزوا لنا استعمال اسم

الجوهر لمعنى القائم بنفسه إن علموا ان ليس في لغتهم لفظة تصلح ان يعبّر بها عن القائم بنفسه غير اسم الجوهر لنعتمده ، او يعترفوا لنا بأنّ ليس في لغتهم اسم يجوز ان يعبر به عن القائم بنفسه لنعلم ذلك ونعتمد بان نسمي كل موجود قائمٍ بنفسه قائماً بنفسهِ حسب ، واي قسم اختاروا من هذه الاقسام الثلاثة وافقناهم عليه .

قال : نحن نجيز لكم القول بأن الله جوهر بمعنى القائم بنفسه ، فما معنى قولكم ان الله ثلاثة اقانيم اب وابن وروح القدس ؟

قلت : قد اتفقنا على ان الله جوهر بمعنى القائم بنفسه .وليس يخلو هذا القائم بنفسه ان يكون حياً او غير حي لأنه ليس شيء قائم بنفسه الا هو امّا حي واما غير حي ، ومن المحال ان يكون خالق الحياة ومُحدِث كل شيء ميتاً غير حي فنقول ان البارىء تعالى قائم بنفسه حي .

ثم لايخلو هذا القائم بنفسه الحي ان يكون ناطقاً او غير ناطق لأنه ليس حي الاّ هو امّا ناطق وأمّا غير ناطق ومن المحال ان يكون خالق الناطقين ومُحدث النطق غيرناطق فنقول ان البارىء تعالى قائم بنفسه حيّ ناطق ، ثم ليس حيٌّ إلا بحياة ولاناطق الاّ بنطق فنقول ان البارىء تعالى قائم بنفسه حيّ بحياة ناطق بنطقٍ .

والذي نريده بقولنا ((نُطق)) غير مايذهب اليه المسلمون بقولهم ((النطق)) وذلك انّ حدّ النطق عندهم هو حركة اللسان لكل حيوان بصوتٍ مسموع وهو عام فيما يعقل وفيما لايعقل ، وأمّا النطق عندنا فهو يخص مايعقل دون مالايعقل .وهو على ضربين نطق الصوت ونطق الفهم فنطق الصوت يكون باصطكاك الاجسام والهواء وهذا النطق لايوجد الا في الاجسام القابلة للموت .وأمّا نُطق الفهم فهو القوة النطقيَّة الموجودة في النفس التي بوجودها يوجد العلم والحكمة والمعرفة وإدراك الأشياء ، وبعدمها يعدم جميع ذلك . وهذا النطق يخصّ كل موجود لايموت مثل النفس الناطقة والملائكة والبارىء تعالى ، ولمّا كان الانسان مركبّاً من جسد مائت ونفس غير مائتة حصل له النطقان اعني نطق الصوت ونطق الفهم . وعلى هذا الوجه نقول ان الله تعالى ناطق كما نسميه جوهراً بمعنى انه قائم بنفسه لا لأنه متحيز ولاقابل للأعراض كسائر المخلوقات ، ونسميه حياً بمعنى انه له حياة وروح لا لأنه حيوان كسائر الأحياء ، وكذلك نسميه ناطقاً بمعنى انّه ذو نطقٍ لا لأنه كسائر الناطقين الذين اعطوا النطق .

قال : اما قولكم ان الله حي وانه ناطق بمعنى حكيم فسائغ ، وأما قولكم انه حيً بحياة وناطق بنطق فهو قول يؤدي الى الشرك لأنكم تثبتون مع الله قديمين آخرين وهما الحياة والنطق .

قلت : فقول من يقول ان الله حيّ بلا حياة وناطق بلا نطق يؤدي الى القول بأن الله غير حي وغير ناطق لأنه لاحيّ الاّ بحياة ولاناطق الاّ بنطق كمالانحويَّ الاّبنحو ولامهندس الاّ بهندسة. وذلك انّ الأسماء المشتقة هي مأخوذة من معانٍ موجودة تسمى بها الاسماء المشتقة حسب مقتضى اللغات والقوانين المنطقية ، والحي مشتق من الحياة والناطق مشتق من النطق . فلزم من ذلك ان لايكون حيّ الاّ بحياة ولاناطق الاّ بنطق.

وايضاً انّ الوزير ايّده الله يعلم ان اهل السُنّة من المسلمين حرسهم الله يعتقدون ان الله حي بحياة عالم بعلم قادرٌ بقدرة مريدٌ بإرادة متكلم بكلام سميعٌ بسمع بصيرٌ ببصر، فان كان النصارى مشركين لأجل قولهم انَّ لله حياةً ونطقاً فاهل السُنّة من المسلمين أحق منهم بالشرك لاعتقادهم ان لله حياة وعلماً وقدرةً وكلاماً وارادة وسمعاً وبصراً . وان كان اهل السنَّة موحدين مع اثباتهم لله ذلك فالنصارى ايضاً موحدون مع اثباتهم لله حياة ونطقاً .

ومما يدل على ان الله حي بحياةً وناطقٌ بنطق هو ان قولنا ((قائم بنفسه)) يفيدنا معنى غير المعنى الذي يفيدنا قولنا ((ناطق)) وغير المعنى الذي يفيدنا قولنا ((حي)) . لقولنا قائم بنفسه حي

ناطق يفيدنا ثلاثة معانٍ هي الذات والنطق والحياة ، ونحن نسمي النطق كلمة اذ لانطق الاّ بكلمة ولاكلمة الاّ بنطق ونسمي الحياة روحاً لأن لاحياة الاّ بروح ولاروح الاّ بحياة.

ولمّا كانت ذات البارىء تعالى غير قابلة الاعراض والتركيب بَطَلَ ان يكون نطقه وحياته اعني كلمته وروحه عَرَضَين او قوتين مركبتين مثل البياض في الثلج والحرارة في النار. ولمّا بطل ان يكون نطقهُ وحياتهُ عرضين او قوتين مركبتين ثبت انهما جوهران مساويّان للذات في الجوهرية والقدم . ولمّا ثبت ذلك بطل ان يدخل عليهما الاعراض كما يدخل على نطق المخلوقين وعلى حياتهم.

ولذلك حصلت الذات بمجرّدها غير عرض وغير قابلة الاعراض . والنطق الذي هو الكلمة غير عرض وغير قابلة الاعراض . والحياة التي هي الروح غير عرض وغير قابلة الاعراض . وكل موجود ليس بعرض فهو بقسم الضرورة امّا جوهر عام وامّا أقنومٌ خاص حسبما بيّنه ارسطاطاليس في كتاب القاطيغورياس حيث تكلّم على الجوهر والعَرَض .

فلمّا بطلت ان تكون الذات والكلمة والروح ثلاثة اعراض او ثلاثة جواهر عامة ثبت انها ثلاثة اقانيم خواص ولمّا كانت الذات علّة ولادة الكلمة وعلّة انبثاق الروح وكانت الكلمة مولودة من الذات كولود النطق من النفس والضوء من الشمس وكانت الروح منبعثة من الذات كانبثاق الحياة من النفس والحرارة من الشمس سميّت الذات اباً والكلمة ابناً والحياة روحاً قدساً . وكما ان ذات النفس ونطقها وحياتها نفس واحدة وذات الشمس وضياءَها وحرارتها شمسٌ واحدةٌ كذلك الذات الالهية والكلمة والروح الهٌ واحد . ولذلك نقول ان الله جوهر واحد ثلاثة اقانيم اب وابن وروح القدس .

قال : قولكم ان الله كلمة وروح هما اقنومان قولٌ غير معقول .

قلت : قولنا ان الله ناطق حي قولٌ معقول ، وقولنا انه ناطق بنطق وحيٌ بحياة وان نطقهُ هو كلمته وحياته روحه وان كلمته وروحه ليستا عرضين ولاقوتين مثل كلمة المخلوقين وحياتهم كل ذلك قول مفهوم معقول . وقولنا انه اذا بطل ان تكون كلمته وروحه عرضين ولاقوّتين ثبت انهما اقنومان قولٌ معقول ضروري . فقولنا اذن ان الكلمة والروح هما اقنومان هو قول معقول ضروري . ولو قيل انه غير معقول لوجب ان ننكر على المسلمين اقاويل كثيرة غير معقولة كقولهم ان لله يدين خلق بهما آدم ، وهما مبسوطتان لامغلولتان . فان هذا منهم غير معقول ولذلك يعترفون انّ اليدين في الله ليستا بجارحتين . واذا سُئلوا عن ماهيَّتهما لم يجيبوا بجواب معقول .

قال الوزير : ان يدي الله تعالى هما نعمته وقدرته .

قلتُ: لو كان يدا الله هما نعمته وقدرته لما كان لتخصيص آدم انه خلق بيد الله معنىً اذ كل الأشياء لم تُخلق الاّ بنعمة الله وقدرته فبطل من هذا الوجه ان تكون يدا الله نعمته وقدرته ، وكذلك كل صفتين تذكران انهما يدا الله ينتقضان بآدم فيحصل قولهم ان لله يدين هما عندهما صفتان مجهولتان ، فلا يجب ان ينكروا على النصارى قولهم ان كلمة الله وروحه هما اقنومان معروفان لامجهولان .

قال : فلمّا كان اعتقاد النصارى في البارىء تعالى انه اله واحد على ماوصفت فما حَمَلهم على ان يقولوا انه ثلاثة اقانيم اب وابن وروح قدس فيوهمون السامعين ان الله تعالى ثلاثة اشخاص او ثلاثة آلهة او ثلاثة اجزاء ، وبقولهم ان لله ابناً يوهمون من لا يعرف اعتقادهم انهم يريدون بذلك ابن المباضعة والتناسل فيُظهرون على انفسهم تهمة هم بريئون منها .

قلتُ : ولمّا كان اعتقاد المسلمين في البارىء تعالى انه غير ذي جسم وغير ذي جوارح واعضاء وغير محصور في مكان فماذا حملهم على القول انّ لله عينين يبصر بهما ويدين يبسطهما وساقين يكشفهما ووجهاً يوليه الى كل جهة وانه يأتي في ظل من الغمام فيوهمون السامعين ان الله تعالى جسماً واعضاء وجوارح وانه ينتقل من مكان الى مكان في ظل من الغمام فيظن من لايعرف اعتقادهم انهم يجسّمون البارىء تعالى حتى انّ قوماً منهم اعتقدوا ذلك واتخذوه مذهباً ومن لايتحقق اعتقادهم يتهمهم بما هم منه بريئون .

قال : العلّة في قول المسلمين انّ لله عينين ويدين ووجهاً وساقين يكشفهما وانه يأتي في ظل من الغمام هي انّ القرآن نطق بذلك والمراد فيه غير ظاهر اللفظ . فكل من يحمل ذلك على ظاهره ويعتقد انّ لله عينين ويدين ووجهاً وساقين وجوارح واعضاء وانّ ذاته تنتقل من مكان الى مكان وغيرذلك ممّا يقتضي التجسّم والتشبه فهم يلعنونه ويكفّرونه .

قلتُ : وكذلك العلّة في قول النصارى ان الله واحد في ثلاثة اقانيم اب وابن وروح القدس هي انّ الأنجيل نطق بذلك والمراد به الله تعالى وكلمته وروحه ، وكلّ من يعتقد انّ الأقانيم الثلاثة هي ثلاثة آلهة او ثلاثة اجسام او ثلاثة اجزاء او ثلاثة اعراض وثلاث قوى مركبة او غير ذلك ممّا يقتضي الشرك والتشبيه والتجزىءوالتبعيض وان المراد بذكر الأب والابن ابوّة او بنوّة نكاح او تناسل او مباضعة او جماع او ولادة من زوجة او من بعض الاجسام او من بعض الملائكة او من بعض المخلوقين فهم يلعنونه ويحرمونه .

قال : والله قد سررتُ بما اوردت عن النصارى وان كان فيه مايحتمل الجدال والمناقضة على رأي من يدفع اثبات الصفات لله من المسلمين . وهذا قريب الى ماكنت اعتقد فيهم . وانما بقيت الشبهة الاخرى وهي قولهم ان يسوع البشري المولود من مريم هو ابن أزلي خالق غير مخلوق مولود من الله قبل كل الدهور فما قولك بذلك ؟

قلت : أيد الله الوزير ليست النصارى تعتقد ان البشري أي الناسوت المأخوذ من مريم هو أزلي خالق غير مخلوق ولأنه هو مولود من الله قبل كل الدهور بل نعتقد ان هذا الناسوت مخلوق محدث لايتميز عن سائر الناس الاّ بأنه لايعرف الخطيئة .

قال : أفليس تقبلون الامانة التي قررها الثلثمائة والثمانية عشر[٤] ؟

قلت : نقبلها كما نقبل الانجيل ونعظمها كما نعظّمه .

قال : أفليس يتضمّن ماهذه حكايته : نؤمن بالاله الواحد الآب حاوي الكل خالق السماوات والارض مايُرى منها ومالايرى وبالرب الواحد يسوع المسيح ابن الله الوحيد بكر الخلائق المولود من ابيه قبل كل الدهور نور من نور اله حق من اله حق من جوهر ابيه مولود وليس بمخلوق ؟

قلت : هذا من لفظ الامانة ولاشك فيه ونحن نقبله ولاندفعه .

قال : فقد لزمكم اذن القول بأن يسوع البشري المولود من مريم اله أزلي حق مولود من ابيه قبل كل الدهور وليس بمخلوق حسبما يقتضيه القول .

قلتُ ايّد الله الوزير : مايلزمنا ذلك لأن المعنى الذي نشير اليه بقولنا يسوع وذلك الذي نريده بقولنا الرب في هذا الموضع هو الكلمة الازلية . والذي نريده بقولنا يسوع مطلقاً هو البشري المأخوذ من مريم وان كان اسم الرب يقع على يسوع واسم يسوع يقع على الرب في عدّة مواضع لأجل الاتحاد والذي نريده بقولنا المسيح هو المعنيان معاً فالرب الذي هو الكلمة ازليٌ خالق ويسوع زمني محدث ، فقولنا الوحيد المولود من ابيه قبل كل الدهور هو عطف على الرب الذي هو الكلمة لاعلى يسوع الذي هو البشري المأخوذ من مريم . فاذا كان الامر على هذا بطل ان يكون يسوع الذي هو البشري المأخوذ من مريم أزلياً قديماً خالقاً مولوداً من ابيه قبل كل الدهور وليس بمخلوق . وممّا يدل على ذلك دلالة واضحة هو اننا نعتقد انّ يسوع الذي هو البشري مأخوذ من مريم [٥].

تم الفصل الاول بعون الله وتأييده

المجلس الثاني [٦]

ذكر ما جرى من الكلام في حلول ابن الله واتحادهِ بالطبيعة البشرية

ولَّما كان يوم الأحد بعدَهُ انفذ الوزير في طلبي فصرتُ اليهِ وبعد استلامهِ اخباري وأقاويل جميلة أوردها عليَّ دعوتُ لهُ لاجلها قال لي :

اعلم أني فكَّرتُ في ما اوردتهُ في توحيد النصارى وانَّما عَرضَتْ لي شبهة أخرى تقتضي الشكَّ فيهم

قلت : يذكرها الوزير أَيدهُ الله لأقول ما عندي فيها .

قال : اليس النصارى يقولون بالاتحاد ؟

قلت : نعم .

قال : وكيف يصحُّ لكم التوحيد مع قولكم انَّ الله تعالى حلّ في البشري المأخوذ من مريم وانتم تعلمون أَنهُ ليس يخلو ان يكون قد حلّ فيهِ كمثل العرَض في الجوهر وهذا مماً يؤدي الى القول انَّ الله تعالى عرَض او كحلول الجسم في الجسم وهذا دليل بانّ جسم والقولان كفر . ثمَّ ليس يخلو ايضاً ان يكون الجوهر الالهي كلَّهُ على الكمال حلّ في البشري المأخوذ من مريم او بعضهُ فان كان كلُهُ حلّ فيهِ فقد انحصر وان كان حل بعضهُ فقد تجزَّأ وتبعَّض والقولان كفر.

قلتُ : ان حلول الباريء سبحانهُ وتعالى في البشري المأخوذ من مريم لم يكن كحلول العرض في الجوهر لأنه تعالى ليس بعرض ولا كحلول الجسم في الجسم لانهُ ليس بجسم ولم يحلّ الجوهر كلُهُ على الكمال ولا بعضهُ لأنه لا ينحصر في مكان دون مكان ولا يتجزَّأ ولا يتبعَّض فيحصل بعضهُ في مكان وبعضهُ في مكان آخر لكنَّ حلولهُ تبارك وتعالى كان حلول الوقار والرضا والمشيئة لا حلول الذات والجوهر لأنَّ ذاتهُ وجوهرهُ في كل مكان بالسوية وانَّما يحلُّ في مكان دون مكان وفي شخص دون شخص حلول الوقار والرضا والمشيئة كحلوله في السماء دون الارض وفي البيوت المتَّخذة لعبادتهِ دون غيرها وفي الانبياء والمصطفين دون غيرهم من البشريين . [٧]

قال : ان كان حلول الباريء في البشري المأخوذ من مريم حلول الوقار والرضا والمشيئة كحلولهِ في الأنبياء والابرار الذين حلّ فيهم برضاه ومشيئته فلا فرق بينهُ وبينهم وان لم يكن بينهُ وبينهم فرق فما يجب ان تفضلوهُ عليهم [٨].

قلتُ : انَّ اسم الحلول من الاسماء المشتركة التي يقع كل اسم منها على اشياء مختلفة مثل اسم الوجود الواقع على الباريء تعالى وعلى الانسان وعلى الارض والنار والحجر وغير ذلك من الموجودات ومثل اسم الحيوان الواقع على الانسان والثور والحمار وغير ذلك من الحيوانات . وكما لا يداني الانسان الباريء تعالى وان كان اسم الموجود يقع عليهما معاً كذلك الانبياء لايدانون البشري المأخوذ من مريم لوقوع الحلول فيه وفيهم . لان الحلول فيه كان حلول الاتحاد الذي لا يلحقهُ افتراق وحلول الرضا والمشيئة الكاملة والحلول فيهم غير حلول الاتحاد وغير حلول الكمال . ولو جاز ان يساوي بعضُ الانبياء البشريَّ المأخوذ من مريم لاجل وقوع اسم الحلول عليهما معاً لجاز أن يساوي تلاميذُ المسيح سيّدَهم في النبوَّة لوقوع اسم النبوَّة عليهم وعليهِ من موجب قولهِ ((أصعد الى ابي وابيكم والهي والهكم)) فكما قال انَّ الله تعالى ابوهُ وابوهم وهم غير متساوين في النبوَّة كذلك يقال انَّ الله حلّ فيهِ وفي الانبياء من غير ان يساويهُ الانبياء في الحلول [٩] فانّ الحلول فيهِ يتميز من الحلول في الانبياء والابرار لاسباب عدَّة منها: انَّ الابن الازلي الذي هو الكلمة اَتحد معهُ فصار مسيحاً واحداً [١٠] فلذلك نسمّيه نحن المسيح وتسمُّونهُ انتم كلمة الله وليس في الانبياء من يُسمَّى عندنا وعندكم كلمة الله الاَّ المسيح من موجب الاتحاد . ومنها انهُ لم يكن من جماع ولا عرف الجماع . ومنها انَّ لهُ من الآيات ما ليس لغيرهِ من الانبياء والمصطفين . ومنها ان الله رفعه الى السماء وهو هناك حي وليس في الأنبياء من رفعهُ الله اليه . ومنها انهُ لم يعرف الخطيئة لا فكراً ولا قولاً ولا فعلاً وليس في الانبياء

من شهد لهُ الكتاب بمثل ذلك . واذا كانت هذه اوصافهُ وجب ان يكون الحلول فيهِ غير الحلول في غيرهِ(١١).

قال : انَّ هذه الاوصاف كلها التي تنسبونها الى هذا البشري قد توجد جميعها في الانبياء وذلك ان قولكم انَّ المسلمين يسمّوُنهُ كلمة الله فذلك لانهُ خلق بأمر الله كما خُلق كل شيء من الاشياء بان قال لهُ كُن فكان . وقولكم امهُ من غير جماع فآدم ايضاً كان من غير جماع . وقولكم انهُ لم يعرف الجماع فيحيى بن زكريا لم يعرف الجماع . وقولكم انَّ لهُ آياتٍ ومعجزات تفرَّد بها فليس لهُ آية ولا معجزة الا ولموسى مثلها . وقولكم انهُ رفعهُ الله اليهِ الى السماء فادريس (١٢) ايضاً رفعهُ الله اليهَ الى السماء . وقولكم انهُ لم يعرف الخطيئة فسائر الانبياء معصومون من الخطيئة(١٣). واذا كان هؤلاء الانبياء قد ساوَوهُ في هذه الاوصاف وجب ايضاً ان يساووهُ في الحلول واذا كان الامر هكذا فلا فضيلة لهُ عليهم .

قلتُ : لو كان الامر على مايزعم المسلمون انهم انما يسمُّون المسيح كلمة الله لانهُ خلق بأمر الله كالمخلوقات كلها فهذا ينتقض اذ لو كان ذلك ما كان بينهُ وبين سائر المخلوقات فرقٌ لانَّ كلاً منهم حتى الدواب وسائر الاجسام العديمة الحياة خلق بأمر الله . ولو كان ذلك كذلك لما كان لتخصيص المسيح بهذا الاسم معنىً ومن المحال ان يختص باسم لم يختص به غيره دون معنى . واذا ثبت انهُ لم يُسَم كلمة الله لانهُ خلق بأمر الله ثبت انهُ انما سميّ كلمة الله لاتحاد الكلمة الازلية معهُ كما يسمَّى الجسد ناطقاً لاتحاد النفس الناطقة معهُ(١٤).

وامَّا قولكم انهُ لا فرق بينهُ وبين آدم في كونهما من غير جماع . فجوابهُ انَّ كون آدم من غير جماع ليس هو بفضيلة لآدم اذ خُلقت كلّ الحيوانات الاولى ايضاً من غير جماع . وذلك انّ آدم كان من غير جماع في وقت لم يكن فيه ذَكَر وانثى يكون منهما . والبشري المأخوذ من مريم تفرد في ذلك في وقت كان فيه عدد الذكور لا يُحصى فيمكنهُ ان يكون من نسل احدهم . ولأن الله اظهرهُ في مثل ذلك الوقت من غير ذَكَر فقد شرَّفهُ بذلك على جميع البشر . ثمَّ انَّ المسيح قد فضل على آدم وعلى سائر البشريين لانَّ آدم خالف ربهُ وعصاهُ في الفردوس والناسوت المصطفى من مريم لم يعرف الخطيئة اصلاً . وآدم أبعد من الجنَّة وقد رُفع المسيح الى السماء . ثمّ ان آدم توعَّده الله بالكدّ والشقاء والجوع والتعب والعودة الى الرميم والتراب . والمسيح شرَّفهُ الله وعظَّمهُ واعطاهُ اشرف الأسماء واجلَّ الألقاب ووعد تابعيهِ بالنعيم في الجنَّة . فاذا كان على هذا الحال فليس ينبغي ان يقاس البشري المأخوذ من مريم بآدم وان تساويا في الجوهريَّة والبشرية(١٥).

وقولكم لا فرق بينهُ وبين يحيى بن زكريا في العفة من الجماع وانهُ لم يختص بهذه الفضيلة وحدهُ . فأنّنا انَّما اردنا كون المسيح جمع فس شخصهُ الفضيلتين معاً أي الكون من غير جماع والعفَّة من الجماع . لأنَّ آدم لم يكن من جماع لكنهُ عرف الجماع ويحيى بن زكّريا لم يعرف الجماع لكنه ولد من جماع . والناسوت المأخوذ من مريم لم يكن من الجماع ولا عرف الجماع وهذه الفضيلة ليست لآدم ولا ليحيى .

وقولكم انهُ لم يكن للمسيح شيء من الآيات والمعجزات الاَّ ولموسى مثلها ينتقض لأنَّ موسى لم يذكرهُ بعضُ من تقدَّمهُ من المصطفَين . ولمَّا ارسلهُ الله الى فرعون لم يظهر الله على يدهِ معجزة على الفور ولكن عن امرٍ من الله او بعد تضرُّع . وفي آخر عمرهِ غلط غلطاً منعهُ الله لأجله من الدخول الى الأرض المقدَّسة . فتضرَّع وسأل وابتهل ان يغفر لهُ ويسامحهُ بالدخول اليها فلم يُقبل سؤَالهُ . وامَّا السيد المسيح فإنَّ الأنبياء ذكروهُ وبشَّروا بهِ قبل ظهورهِ باكثر من الفي سنة وقالوا فيهِ انهُ هو المنتظر وصاحب الأمر والمرتجى للأمم . وكانت آياتهُ ومعجزاتهُ على الفور ولا على التراخي ومن غير تضرَّع الى الله مثل قولهُ للميت ((قم)) فيقوم وللمُقعِد ((انتصب)) فينتصب وللأبرص ((شئتُ فاطهرُ)) فيطهر . وللمريض ((قد برئتَ)) فيبرأ . وللأعمى ((قد أعطيت البصر)) فيبصر

وللشيطان ((اخرج من الانسان)) فيخرج ولهيجان البحر ((اسكن)) فيسكن وغير ذلك ممَّا نطق بهِ الإنجيل المقدس . وقد شهد القرآن انهُ تكلَّم في المهد وانهُ كان يعمل من الطين كهية الطير وينفخ فيهِ فيكون طيراً (سورة آل عمران ع ٤٦-٤٩)[١٦] . وما سبيل من كان يعتقد ذلك من المسلمين أن يقيس أمر موسى بالمسيح في أمر الآيات والمعجزات التي جرت على أيديهما[١٧].

وقولكم انهُ لا فرق بين المسيح وبين إدريس في رفعهما فمردود من موجب الإنجيل عند النصارى ومن موجب القرآن عند المسلمين لانّ الإنجيل لا يدل على انّ إدريس في السماء والقرآن أيضا وان كان يدل على انهُ رُفع الى مكان عليّ (سورة مريم ع ٥٦-٥٧) [١٨] إلا انهُ لم يذكر انهُ في السماء فاماً المسيح فيدلّ الإنجيل على انهُ رُفع الى اعلى السماوات ويدلُّ القرآن ايضاً عليهِ (سورة آل عمران ع ٥٥)[١٩] بقولهِ : ((يا عيسى اني متوفيك ورافعك اليَّ ومطّهرك من الذين كفروا وجاعل الذين اتبعوك فوق الذين كفروا الى يوم القيامة)) فبقولهِ ((رافعك اليَّ)) يدلّ على رَفعهِ الى غاية العلوّ والعظمة في المنزلة . فاذا كان الأمر على هذا فليس يقاس امر المسيح في ارتفاعهِ الى السماء بأمر إدريس .

وقولكم انهُ لافرق بينهُ وبين سائر الانبياء في العصمة من الخطيئة . فجوابهُ انَّ الخطيئة تكون امَّا بالفكر وامَّا بالقول وامَّا بالفعل وليس في الانبياء من يشهد لهُ الكتاب بالعصمة من السهو والغلط في فكره وقوله وفعله . والانجيل وكتب الانبياء الذين بشَّروا بالمسيح تدلُّ على انَّه لم يعرف الخطيئة لا فكراً ولا قولاً ولا فعلاً .

فاذا كان الامر هكذا وكان البشري المأخوذ من مريم قد أُتحد مع الابن الازلي الذي هو الكلمة وصار مسيحاً واحداً وليس كذلك سائر الانبياء والصالحين وجب القول ان تكون فضيلة الحلول متميزة فيهِ من الحلول فيهم كتميزه بينهم[٢٠] ... تمَّ المجلس الثاني بعون الله وإرشادهِ .

المجلس الثالث

في إقامة الدليل على توحيد النصارى من القرآن

وفي اليوم الثلاثاء مستَهل جمادى الآخرة حضرتُ مجلس الوزير فقال لي : تأمَّلتُ ما اوردتَهُ في معنى توحيد النصارى فاستحسنتُهُ ثمَّ رجعتُ الى القرآن الشريف فوجدتهُ يدفعهُ بقولهِ (سورة المائدة ع ٧٣)[٢١] : ((لقد كفر الذين قالوا انَّ الله ثالث ثلاثة)) وهو يصفهم في مواضع كثيرة بالشرك .

قلتُ : ليس يلزمني ايَّد الله الوزير ما ورد في القرآن ومع انهُ لا يلزمني ذلك فانا أُقيم الدليل منهُ على انَّ النصارى موّحدون . وذلك أنّا نجدهُ تارةٌ يشهد لهم بالتوحيد وتارةٌ بالشرك . واذا كان الامر على هذا فليس يخلو ان يكون امَّا متناقضاً وامَّا ان يشير بالتوحيد الى طائفةٍ منهم وبالشرك الى طائفةٍ أخرى . وما اظنّ انَّ في المسلمين حرسهم الله من يقول انَّهُ متناقض فيلزم القول انَّ المراد بوصفهِ النصارى بالتوحيد اشار الى طائفةٍ منهم وبالشرك الى طائفةٍ أخرى . فامَّا الموحدون الذين يشهد القرآن بتوحيدهم ونعرف انَّهم مقرُّون بانَّ الله واحد فنحن (أي النساطرة) واليعاقبة والملكيَّة ومن يجري مجرانا من النصارى . وامَّا المشركون منهم فقوم يتشبَّهون بالنصرنيَّة كالمرقيونيَّة والديصانيَّة والمانويَّة والطريثوثيَّة [٢٢] أي المثلِّثة وغيرهم ممَّن ينتسب الى النصرانية وهم بريئون منها وبعيدون عنها . فامَّا المرقيونيَّة فيعتقدون ثلثة آلهة الهاً عدلاً والهاً رحيماً والهاً شريراً . وامَّا الديصانيَّة والمانوية فيقولون بصانعين والهين احدهما خالق الخير والنور والآخر خالق الشر والظلمة . وامَّا الطريثونيَّة أي المثِلثة فيقولون بثلثة آلهة وثلثة ارباب وثلثة معبودين وثلثة جواهر ونحن نعتقد فيهم وفي المرقيونيَّة والديصانيَّة والمانويَّة انهم ملحدون ومخالفون الشرع . وامَّا الاقاويل الدالَّة على توحيدنا من القرآن فمن ذلك ما ورد في سورة البقرة حيث يقول (ع ٦٢) [٢٣] : ((ان الذين آمنوا والذين هادوا والنصارى والصابئين من آمن بالله واليوم الآخر وعمل صالحاً فلهم اجرهم عند ربهم ولا خوف

عليهم ولاهم يحزنون)) فقد دلّت هذه الآية على انّ ((من آمن بالله واليوم الآخر وعمل صالحاً فلهُ اجرهُ عند ربّهِ ولا خوف عليه ولا يحزن)) .

قال : قد اختلفت المفسّرون في هذه الآية فقال بعضُهم نُسِخت بقولهِ (آل عمران ٨٥) [٢٤] : ((ومن يبتغ غير الإسلام ديناً فلن يُقبَل منهُ وهو في الآخرة من الخاسرين)) .

وقال آخرون انَّ المراد بها هو أنَّه انَّما يستحق اليهود والنصارى والصابئون الاجر في الآخرة اذا أسلموا لا اذا كانوا على اديانهم .

قلتُ : انَّما قولُ من قال انَّ صحة هذه الآية منسوخة ينتقض بما اذكرهُ وهو انَّ الكلام ينقسم على اقسام عدَّة فمنهُ خبرٌ استخبار ومنهُ طلب ومنهُ إنذار ومنهُ أمر . والنسخ لا يقع الا في الامر لانهُ لو وقع في الخبر او غيرهِ من أقسام الكلام غير الأمر كان اختلافاً وتضاداً . وانّما جاز وقوع النسخ في الامر لانهُ يَحْسُن في الامر فيأمر الآمر بامر ما في وقتٍ ما لمصلحةٍ يوجبها لذلك الوقت ويأمر بعد ذلك الوقت بغير ذلك الامر لمصلحةٍ أُخرى . فاماً من يُخبر بخبرٍ ما ثم يخبر بغير خبر ضدّهِ فقبيح ولذلك جاز وقوع النسخ في الاوامر دون غيرها من اقسام الكلام . والاوامر على ضربيْن : فرائض وغير فرائض والنسخ لا يقع الاّ في الفرائض . والفرائض على ضربين : منها عقليَّة مثل فرض التوحيد وفرض شكر النعم وطاعة الوالدين وصلة الرحم . ومنها سمعيَّة مثل تعظيم يومٍ بعد يوم وإجلال موضع دون موضع وتحريم طعام دون طعام وغير ذلك من الفرائض السمعيَّة فلا يقع النسخ الاّ فيها دون العقليّة لانهُ يستحيل ان يُنسَخ فرضُ التوحيد او فرضُ شكر النعم او فرض طاعة الوالدين او فرض صلة الرحم . واذا كان النسخ لا يقع الاّ في الاوامر وكانت هذه الآية إخباراً لا امراً بَطُلَ ان تكون منسوخة . وممَّا يدلَ على انها لم تُنسخ انهُ ورد في القرآن قولهُ (سورة المائدة ع ٣) [٢٥] : ((اليوم اكملتُ لكم دينكم وأتممتُ عليكم نعمتي)) . وما بعد التمام والكمال شيء آخر .

وامَّا قول من يقول انَّ المراد بآية البقرة إنما هو ((انَّ اليهود والنصارى والصابئين يستحقُّون الأجر في الآخرة اذا اسلموا لا اذا كانوا على اديانهم)) فيبطل ايضاً لانهُ لو كان المراد فيها ذلك لما كان لذكر اليهود والنصارى والصابئين في الآية معنّى اذ لا فائدة في قولهِ ((الذين آمنوا)) إلاّ ان يستوعب كل من يدخل في الايمان من اليهود والنصارى والصابئين وغيرهم والاّ لما بقي فرق بين قولهِ ((الذين آمنوا والذين هادوا والنصارى والصابئين اذا آمنوا)) وبين قوله ((الذين آمنوا والذين آمنوا)) وهذا تكرُّر لا يفيد معنى وليس للمسلمين ان ينسبوا مثل هذا الى القرآن .

وايضاً فلو كان المبذول في هذه الآية من الأجر في الآخرة لليهود والنصارى والصابئين مقروناً بشرط الدخول في الإسلام اوجب ان تكون المجوس والهنود اذا اسلموا خارجين عن الشرط وممنوعين من البذل ولزم انهُ لو اسلم بعضهم وغيرهم من عبدة الاصنام لا يُقبَل إسلامهُ لتخصيص اليهود والنصارى والصابئين بذلك . فاذا كان هذا عندهم غير واجب بطل ان تكون هذه الآية منسوخة وبطل ان يكون المبذول منها لليهود والنصارى والصابئين مقروناً بشرط الدخول في الاسلام وثبت ان المراد بها هو انَّ من آمن بالله واليوم الآخر وعمل صالحاً من اليهود والنصارى والصابئين لهم اجرهم عند الله ولا خوف عليهم ولا هم يحزنون . واذا ثبت ذلك ثبت انَّ النصارى موّحدون .

وقال الطبري في شرح هذه الاية : ((انَّ الذين صدَّقوا الله ورسولهُ هم اهل الاسلام والذين هادوا هم اليهود . وانَّ من الصابئين من آمن بالله وقد بيَّنا امرهم والنصارى من آمن بالله واليوم الآخر وصدّق بالبعث والنشور بعد الموت وعمل صالحاً لمعادهِ فلا خوف عليهم فيما قدموا عليهِ من اهوال القيامة ولاهم يحزنون على ما خلّفوهُ وراءَهم من الدنيا وعيشها عند معاينتهم ما اكرمهم الله بهِ من جزيل ثوابهِ)) فقد دلَّ هذا القول من الطبري رحمهُ الله على انهُ كان يعتقد انَّ من آمن بالله واليوم الآخر من اليهود والنصارى والصابئين وعمل صالحاً استحقوا النّعيم في الآخرة .

ومنها ايضاً قولهُ (سورة البقرة ع٢٢١)[٢٦] : ((ولا تنكحوا المشركات حتى يُؤمِنَّ)) ، فلو كان النصارى مشركين لماَ جاز ان تُنْكح بناتهم إلا بعد أن يُسلمن ، والآن هنَّ يُنْكَحن ولو بقين على مذهبهنَّ فعُلم بذلك انَّ النصارى غير مشركين .

ويثبت ذلك بما ورد في سورة آل عمران (ع ١١٣- ١١٤) [٢٧] ان : ((ليسوا سواءَ من اهل الكتاب أمة قائمة يتلون آيات الله أناءَ الليل وهم يسجدون . يؤمنون بالله واليوم الآخر ويأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر ويسارعون في [٢٨] الخيرات واولئك من الصالحين)) فمعلوم انَّ الآمة القائمة المذكورة في هذه الآية هي بعض ملل اليهود او النصارى . والقرآن يشهد على اليهود بشَّدة العداوة وقساوة القلب والمكر ويشهد للنصارى بقرب المودَّة والسرعة الى الخيرات وعمل الصالحات وذلك ممَّا يدلّ انهُ بقولهِ ((اَمة قائمة)) قد اراد النصارى لا اليهود . فاذا ثبت ذلك ثبت ان النصارى موّحدون لا مشركون .

وكذلك جاء في سورة الحجّ (ع ٤٠)[٢٩] ((ولولا دَفْعُ الله الناسَ بعضهم ببعض لهُدّمت صوامع[٣٠] وبيّع وصلوات ومساجِد يُذكرُ فيها اسمُ الله كثيراً)) فلو كان النصارى غير موحّدين لما شهد انهم يذكرون اسم الله في بيعَهم كما يذكرهُ المسلمون في مساجدهم اذ لا يذكر اسم الله الاّ الموحّدون ولا كان يساوي بين المساجد والبيع .

وفي السورة السابقة (ع١٧) : ((انَّ الذين آمنوا والذين هادوا والصابئين والنصارى والمجوس والذين اشركوا انَّ الله يفصل بينهم يوم القيامة)) ومعلوم انهُ لو كان النصارى مشركين لما ميَّز في هذه الآية بينهم وبين الذين اشركوا .

وفي سورة التوبة (ع ٥) : ((فاقتلوا المشركين حيثُ وجدتموهم)) فهذه الآية توجب قتل المشركين حيث وجُدوا سواءٌ أعطوا الجزية ام لم يعطوها . ويوجب القرآن حقن دماء النصارى وأكل ذبائحهم ومخالطتهم وحراستهم اذا اعطوا الجزية كما يُحرَسْ المسلمون . وذلك ممَّا يدلّ على انهم موحّدون لا مشركون .

وفي سورة المائدة (ع٦٦) [٣١] : ((ولو اَنهم اقاموا التوراة والإنجيل وما أُنزل اليهم من ربهم لأكلوا مِنْ فَوقهم ومن تحت أرجلهم منهم اَمة مُقْتَصِدة وكثير منهم ساء مايعملون)). قال مجاهد : ((انَّ الأمة المقتصدة هي مؤمنة اهل الكتاب . وقال قتادة : أي من اهل الكتاب اَمةٌ مقتصدة على كتاب الله واوامرهِ . وقال السندي : هي المؤمنة . وقال ابن يزيد : المقتصدة هي اهل الطاعة لله من اهل الكتاب وهي ممَّن يقبل التوراة والإنجيل)) ولم يقبل التوراة والإنجيل احدٌ سوى النصارى فهم اذن موحّدون .

وفي سورة المائدة (ع ٨٢)[٣٢] : ((لتجدنَّ اشدَّ الناس عداوةٌ للذين آمنوا اليهود والذين اشركوا ولتجدنَّ اقربهم مودَّة للذين آمنوا الذين قالوا انَّا نصارى ذلك بانَّ منهم قسّيسين ورهباناً واَنهم لا يستكبرون)) فقد مَيّزَ النصارى من المشركين في هذه الآية تمييزاً يدلّ على انَّ النصارى موحّدون غير مشركين . وقال ابو جعفر الطبري في تفسير هذه الآية بعد ان اورد تأويلات المتقدّمين واختلاف المفسرين فيها ما هذا شرحهُ : ((ان الصواب في ذلك عندنا ان يقال انَّ الله تعالى اخبر عن النفر الذين اثنى عليهم من النصارى بقرب مودتهم لاهل الإيمان بالله ورسولهِ واَن ذلك انّما كان منهم لان منهم اهل دين واجتهاد في العبادة وترُّهب في الأديرة والصوامع وانَّ منهم علماء بكتبهم واهل تلاوة لها فهم لا يبعدون من المؤمنين لتواضعهم للحقّ اذا عرفوهُ ولا يستكبرون قبوله اذا تبَّتوه وليس كاليهود الذين قد تدرَّبوا بقتل الانبياء والرسل ومعارضة الله في امرهِ ونهيهِ وتحريف التنزيل الذي أنزل في كتبه)) . فقد دلّت هذه الآية وتفسيرها على انَّ النصارى اقرب الناس مودَّة الى المسلمين وانَّهم مجتهدون في الطاعة لله وبالنتيجة انّهم موحّدون لا مشركون .

قال الوزير : انَّ النصارى المذكورين في القرآن غير نصارى هذا الزمان .

قلت : لو كان النصارى المذكورون في القرآن غير نصارى هذا الزمان لّما وجب ان يُرضى منهم بالجزية المفروضة في القرآن والتي اخذوها من نصارى ذلك الزمان ولّما وَجبَ أن تؤكل ذبائحهم وتُنكح بناتُهم كما كانت تُنْكح بنات اولئك وتؤكل ذبائحهم . وإذ يجري المسلمون في هذا الزمان مع النصارى مجراهم مع النصارى المتقدمين في الجزية والذبائح فثبت انَّهم النصارى المذكورون في القرآن . وهكذا فهمه مفسرِو القرآن . ولم يفرقوا بين نصارى زمانهم ونصارى غيرهم كانوا في عهد القرآن . قال ابو جعفر الطبري في تفسير قولهِ (سورة المائدة ع ٥)[٣٣] : ((اليوم أُحِلَّ لكم الطيّباتُ وطعام الذين أوتوا الكتاب حِلٌ لكم)) فسَّرهُ الطبريّ بما نصُّهُ : ((وطعام الذين أُوتوا الكتاب حلٌّ لكم وذبائح اهل الكتاب من اليهود والنصارى وهم الذين أُوتوا الكتاب أي التوراة والإنجيل أُوتوا بهما او بأحدهما حلٌّ لكم دون ذبائح اهل الشرك الذين لا كتاب لهم من مشركي العرب وعَبَدة الأصنام والأوثان ممَّن لم يذكر توحيدُهم كما كان دين اهل الكتاب فهؤلاء حرام عليكم ذبائحهم)) . فقد يدّل هذا القول على انهُ قد حُرم على المسلمين ذبائح اهل الشرك وانهُ لم يحلل لهم غير ذبائح الموحِّدين من اليهود والنصارى . وإذا كان الأمر على هذه وكان المسلمون مجمعين على ان اكل ذبائحنا حلال وجب على ان يُجمعوا على انَّنا الموحدون المذكورون في القرآن . ولا يمنع توحيدّنا اقرارنا بالاقانيم الثلثة . قال القاضي ابو بكر محَّمد بن الطيّب المعروف بـ: ابن الباقلاني في كتاب (الطمس) ما هذا شرحهُ : اعلم انَّ النصارى اذا حققنا معهم الكلام في قولهم انَّ الله جوهر ذو ثلثة اقانيم لم يحصل بيننا وبينهم خلاف إلاّ في الاسم لأنهم يقولون انَّ الله جوهر لا كالجواهر المخلوقة بمعنى انهُ قائم بذاتهِ والمعنى صحيح وانَّما العبارة فاسدة لان الأسماء يُرفع فيها الى اهل اللسان ولم يُطلِق عليهِ تعالى احدٌ منهم اسم الجوهر . وانَّما الكلام معهم في تثبيت النبوَّة كاليهود)) فان كان هذا القاضي هذا يقول مثل ذلك فقد وجب على كلّ من يفضّلهُ ويقبل قولهُ الاعترافُ بان النصارى موحّدون .

قال الوزير : امَّا قول ابن الباقلاني فتقليدٌ لم نقبلهُ . وامَّا الاقاويل الأخرى التي ذكرتها فقد حسن موقعها في نفسي .

ثم انفضَّ المجلس الثالث ولله المنة .

المجلس الرابع

في تثبيت مذهب النصارى من موجب العقل والمعجز[٣٤]

وفي اليوم [يوم] الخميس الثالث من جمادى الآخرة استدعاني الوزير الى مجلسه فصرتُ اليه ، وأول ماصرتُ اليهِ وجلستُ قال لي:

مالعلّة في محبة اكثر الناس لأديانهم اكثر من محبتهم لأحوالهم واسبابهم ؟ قلتُ : ان الناس في ذلك على ضربين فمنهم من يحبُّ دينه بالعادة والمتابعة لأسلافه ومنهم من يحبه لتحققه وصحته .

قال : فمن أين يتحقق الانسان صحة دينه ؟

قلتُ : امّا من العقل الصحيح وأمّا من المعجز الإلهي .

قال : فمحبتّك انت لمذهبك محبّة العادة والمتابعة لأسلافك او محبّة من يتحقق صحّة مذهبه ؟

قلتُ : محبة من يتحقق صحة مذهبه .

قال : فتحققك صحة مذهبك من أي وجهٍ هو أمن العقل او من المعجز الالهي؟

قلت : منهما معاً .

قال : وكيف ذلك ؟

قلتُ : امَّا من العقل فلأني رأيت انّه لاينتقل احد من مذهب الى مذهب الاّ لأحد أمرين : امّا رغبة وأمّا رهبة . فأما الرغبة فبمنزلة الصلة والاموال والعطايا والإباحة في اللذّات والتنقل من امر

صعب الى امر سهل ٍوماشاكل ذلك من الأمور التي تتوق النفس اليها . واما الرهبة فمثل الخوف من القتل واستباحة الحريم وما شاكل ذلك ممّا تكرهه النفوس .

ووجدت المتنقّلين الى مذهب النصرانيّة فاذا هم لم ينتقلوا اليه لأحد هذين الامرين . وذلك لأنّ الداعين اليه كانوا السادةَ الرسل وكانوا ذوي فاقة ومسكنة لاأرباب اموال فيبذلونها لمن يتبعهم . لأنّه يستحيل ان يكونوا ذوي اموال والكتاب الذي معهم يحثّهم على إطّراح الأموال والقِنَى الدنيويَّة . ثمَّ لم يبيحوا ايضاً اللذّات لأن الكتاب الذي في ايديهم يأمرهم باطّراح لدّة الطعام والشراب وترك الدنيا وسائر نعيمها . ولانقلوا من امر صعب الى امر سهل لأنّ كتابهم يأمرهم بضدّ ذلك .

ولانقلوا المدعويّن الى النصرانيّة بالخوف والسيف والامور المفزعة لأنّ الكتاب الذي معهم يأمرهم بالتواضع واحتمال المكاره والإحسان الى الأعداء والدعاء لهم وعرض الدين على الناس بالقول مع الزهد في الدنيا وجميع لذّاتها . فمن قبلَ الدعوة ودخل في دين النصرانية ألزم بتفريق امواله واحتمال اعدائه وترك عزة النفس والتفاخر بالدنيا . ومن لم يدخل فيه ناصَبَ الداعي وقاومه وان رام قتلَه بذل الداعي نفسه له حتى يقتله من غير الاستغاثة عليه ببعض المخلوقين .

فلمّا رأيت ذلك ووجدت انه قد دخل دين النصرانية فلاسفة اليونان وحكماؤهم واممٌ كثيرة وملل مختلفة وممالك متباينة مثل الروم والافرنج والبُلْغر والقبط والنوبة والأرمن والسريان والفرس والترك [٣٥] واهل الصين وغيرهم من الامم لالرهبةٍ خافوها ولالرغبةٍ رجوها علمتُ أنهم انّما لم يدخلوا فيه الاّ لمعجزٍ الهي قادهم اليه . وهذا ممّا استدللتُ به من العقل على صحة مذهب النصرانية .

فأما مااستدللتُ به من المعجز على صحّة ذلك فهو انني شاهدت اشياء كثيرة عجيبة يجب على من شاهدها او بعضها ان يلزم نفسهُ للموت في محبَّة دينهِ . فممّا شاهدتُه [٣٦] انّه كان في عُمْر مارميخائيل في الموصل راهبٌ شيخ فاضل اسمه يوحنا ويُعرَف بـ :الأعرج وكنتُ من بعض تلاميذه المتخصصين بهِ . ولمّا حصلتُ بالموصل وكانت لحسام الدولة وجناح الدولة [٣٧] رحمهما الله أقيم ناظراً عليها من قبل احدهما ابو الحسن ابن سرور رحمه الله . فاستدعاني هذا الراهب في بعض الأيام وقال لي : اريد ان تمضي الى ابي الحسن ابن سرور وتقول له عني ان يأخذ الحذر لنفسهِ بأن يهرب او يستتر فانَّ نيّة صاحبهِ قد تغيَّرت عليه وانا خائف عليه . فقلتُ : السمعَ والطاعة وانا ادخل اليه اذا أمسى النهاروأبيتُ عنده واعرفه مارسمته. فانفصلت عنه على هذا . فلماذا أضحى النهار انفذ في طلبي دفعةً ثانية فمضيت اليه فقال لي : اعلم ان امر ابي الحسن قد قوي وان انتصف النهار ولم يهرب خفتُ عليه والآن قُم مسرعاً فلعلك تنذره قبل ان يؤخذ . فقمت في الحال من باب قلايته وتوجهت الى الموصل مسرعاً . فلمّا وصلتُ الى الدير الاعلى سمعتُ اذان صلاة الظهر فاسرعتُ في المشي ووصلتُ الى دار ابي الحسن فوجدته قد قُبض عليه في ذلك الوقت وهو مقيد . فرجعتُ الى العُمْر على حالي وعرَّفتُ الراهب ماجرى . فاغتمّ ودعا له بالخلاص ولمّا بكَّرتُ اليهِ من الغد قال لي : اعلم انَّ امر ابي الحسن يقرب ويخلص . وبعد ايَّام يسيرةٌ قُرِّر امره على شيء قريب وأفرج عنهُ ورُدَّ الى نظره .

وشاهدتُ من هذا الراهب وغيرهِ اشياء عجيبة ليس يحتمل الوقت شرحها . ولم اورد هذا الخبر وانا أسوم الوزير حرسه الله قبولهُ ولاغيره من المسلمين أيّدهم الله لكنّي أستفتيه إستفتاءً في ذلك فاقول : ماذا يقول الوزير فيمن شاهد هذا وحققَّه أليس هو حجَّة الله عليه فيلزمهُ التمسُّك بالمذهب الذي شاهد ذلك منهُ. قال : اذا صحَّ الخبر لزم التمسُّك بذلك الاعتقاد.

قلتُ : ((انا اقنع بذلك وامتثله فاذا كان الامر على هذا ثبت انَّ محبَّتي لمذهبي ليست محبَّة العادة والمتابعة لأسلافي لكنها محبَّة من قد تحقَّق صحَّة مذهبه من العقل والمُعجز)) .ثم عدل الوزير الى المفاوضة فيما لايتعلُّق بالدين. وانقضى المجلس .

وكمل الفصل الرابع بمشيئة الله .

المجلس الخامس
في براءة النصارى من كلّ مذهب يخالف الحقّ

وفي يوم السبت الخامس من جمادى الآخرة حضرتُ مجلس الوزير فقال لي : اعلم اني شرحتُ للقاضي ابي يعلي المتكلم حالَ المجالس التي جرت بيني وبينك وما سمعتهُ منك في التوحيد فانكرَهُ وذكر انَّ النصارى لايعتقدون شيئاً من ذلك وأنَّك اوردتَ ماأوردته ُ رغبةً في ازالة الشبهة والفظاعة عن مذهب النصرانيَّة . وحكى ان النصارى لايتمكنون من الاقرار بربٍ واحد ولامن القول انَّ الله واحد وحدهُ لاشريك لهُ . فما عندك فيما ذكرهُ؟

قلتُ انا اكتبُ فصلاً بخطي واعرضه بحضرة الوزير ايّده الله فيعلم منه اننّا لانعتقد الاَّ الهاً واحداً لااله غيرهُ وانَّ ماوردتهُ بالحضرة العالية اعتقدهُ انا واهل مذهبي .

وبعد ماجرى بيني وبينهُ مذاكرة ومفاوضة فيما لايتعلَّق بالمذهب خرجتُ من عندهِ . وعند حصولي في قلاَّيتي كتبتُ فصلاً هذه نسختهُ :

يقول ايليَّا مطران نصيبين : ((أنَّنا معشر النصارى الموّحدين نؤمن بربٍ واحد لاإله الاّ هو وحده ُ. لاشريك لهُ في الأزليَّة ولا مثلَ له في الذاتيَّة ولانظير لهُ في الربوبيَّة . ولاصاحب لهُ يعاونهُ ولاضدَّ يقاومه ولانِدُ ينازعهُ , وانهُ غير جسم وغير مركَّب وغير مؤلَّف وغير محسوس وغير متحيز وغيرمتبعّض وغير مستحيل . فلا يشغل حيزاً ولايقبل عرضاً ولايحويه مكان ولايحصرهُ زمان . قديمٌ بلا ابتداء باقٍ بلا انتهاء. خفيٌ في ذاته ظاهرفي افعاله منفرد بالقدرة والكمال متوّحد بالعظمة والجلال . مَعْدِن النعم وينبوع الحكم .مُحدثٌ كل شيء لامن شيء منشيءٌ كلُّ الموجودات من غير مادَّة . وصانع الخلائق بأمرهِ ومكون البرايا بمشيئته . عالمٌ بالامور قبل كونها وعارفٌ بالسرائرقبل إضْمارها. حيٌّ لايموت ثابتٌ لايزول قويٌّ لايحول قادرٌ لايعجز . قريب لكل احد مجيبٌ لمن يدعوه مغيثٌ لمن يرجوه .كافٍ لمن يتوكل عليه ملجأٌ لمن يلتجيء اليه .يديم النعم اذا قُوبلت بالشكر ويزيلها اذا قُوبلت بالكفر . يُعين الصالحين يجيب الطائعين .عدوّالعاندين قابل التائبين غياث المستغيثين.إله رحيم ربٌّ كريم خالقٌ حكيم .خلق الدنيا لمَّا شاء وكما شاء ويفنيها اذا شاء كما شاء .ثمّ يأذن بالبعث والنشور ويحيي من في القبور . ويجازي الأخيار بايصالهم الى النعيم والاشرار بتخليدهم في الجحيم . إلهٌ واحد خالقٌ واحد ربٌّ واحد معبود واحد . لاإله قبلهُ ولابعدهُ ولاخالق الاَّ هو . ولاربَّ غيره ولامعبود سواه .

ونعتقد أنَّ ذات هذا الربّ الذي هذه أوصافهُ تقدَّست اسماؤه ونطقَهُ وحياتَهُ اعني كلمتهُ وروحهُ جوهرُ واحد في ثلاثة اقانيم اب وابن وروح القدس . ونتبرأ اليه ِ جلَّ جلالهُ من كل من يعتقد انّ ّهذا الجوهر كالجواهر المخلوفة وانَّ هذه الاقانيم الثلاثة هي ثلاثة جواهرأو ثلاثة آلهة مختلفة او متَّفقة او ثلاثة اجسام مؤلفة او ثلاثة اجزاء او ثلاثة اعراض معترضة او ثلث قوىً مركَّبة او غير ذلك مما يقتضي الشرك والتجزيء والتبعُّض. ونتبرأ من كل من يعتقد انَّ نطق الباريء تعالى وحياتهُ اعني كلمتهُ وروحهُ عرضان او قوَّتان مثل نطق المخلوقين وحياتهم . ومن كل من يعتقد انَّ لهذا الاله الواحد نظيراً او ضداً او يعتقد انه جسم مؤلف أو مركب . ومن كل من يعتقد انه يشغل حيزاً او يقبل عرضاً . ومن كل من يعتقد انه ينتقل من مكان الى مكان او يكون في جهة دون جهة أو انه رُؤي او يُرى. ومن كل من يعتقد انهُ نكحَ او ينكح او نسَل او ينسُل او اتخذ زوجة . ومن كلّ من يعتقد انهُ يقدر ان يخلق الهاً مثلهُ او يعمل عملاً فيه فساد او قباحة . ومن كلّ من يعتقد انَّ لهُ ابتداء او انتهاء وانهُ خلق الخلائق من عنصرٍ او مادَّة . ومن كلّ من يعتقد انهُ لايعرف الأشياء قبل كونها او انهُ طبيعةٌ يدبر العالم بطبعها . ومن كلّ من يجحد النبوّات وظهور الآيات على ايدي الأنبياء والرسل الصالحين . ومن كلّ من يعتقد انَّ العالم قديم غير حديث ويجحد القيامة والبعث والآخرة . فكلّ ّ نصرانيّ يعتقد ان مذهبنا يجيز هذه المذاهب التي تبرَّأت منها او انَّ لنا فسحةً في اعتقاد بعضها فلينكر ذلك عليَّ)) .

ولما كان من الغد حملتُ هذا الفصل الى الوزير وعرضتُهُ عليهِ . فلمّا قرأهُ قلتُ لـهُ : أيجـوز ان يُطْلِق مثلي خطَّهُ بما قد تضمَّنهُ هذا الفصل وهو وأهلُ بيته يعتقدون غير مايقتضيه مضمونهُ ؟

قال : لا .

قلتُ : فقد بطل قولَ من حكى بحضرة الوزير أيَّدهُ الله انّ النصارى غير موّحدين . وانَّ الـذي اوردتهُ عنهم هو غير مايقتضيهِ اعتقادهم وانني انَّما قصدتُ بهِ فقط ازالة الشنعة عنهم .

قال : الأمر على ماذكرتَ وانّا اعتقد ان كلّ من هو على هذا الرأي وهذا المـذهب هـو موحّـد ولاخِلف بينهُ وبين المسلمين الاّ في نبوَّة محمَّد بن عبد الله [صلى الله عليه وآله وسلم] .

ثم قال : اريد اذا سِرْنا من نصيبين ان تعمل رسالة في التوحيد تضمّنها جميع ماأوردتهُ عليّ فـي هذه المجالس وتجعل أولّها هذا الفصل وتختمها بآخرهِ وتضيف اليها ماتعلم انهُ مفيد ممّا لم يجرِ في هذه المجالس .

فأجبتهُ بالسمع والطاعة وامتثلتُ مرسومهُ بعد مسيرهِ فكتبتُ الرسالة على مقتضى مشورتهِ ورسمهِ وقد كنت انفذتُ اليك (٣٨) ادام الله حراستك نسختها وهي آخر ماجرى معهُ في امر المذهب والسلام

تم الفصل الخامس ولله الشكر .

المجلس السادس

في ذكر ماجرى من البحث في النحو واللغة والخطّ والكلام (٣٩)

وفي يوم الثلثاء الثامن من جمادى الآخرة حضرتُ مجلس الامير[الوزير] فقال لي :

ألكم من العلوم مثل ماللمسلمين ؟

قلت : نعم وزيادة وافرة .

قال : وما الدليل عليه ؟

قلتُ : انَّ عند المسلمين علوماً كثيرة منقولة من السريان وليس عند السريان علمٌ منقول من عنـد العرب.

قال : أفلكم علم النحو واللغة وحسن الخطّ والكلام مثلما للمسلمين ؟

قلتُ : نعم .

قال: فكيف نَحْوُ السريانيين من نحو العرب ؟

قلتُ : نحوُ السريانيين احسن وأكثر فائدة واعظم فضيلة .

قال : أترفعون الفاعل وتنصبون المفعول كما تفعل العرب ؟

قلتُ : لا .

قال : فكيف تعرفون الفاعل من المفعول ؟

قلتُ : "انَّ المفعول ليس يخلو ان يكون مجانساً للفاعل او غير مجانس فالمجانس هو مثل قولنا : " ضرب زيدٌ عمراً" فعمروٌ مجانس لزيد اذ عمرو انسان وزيد انسان.

ومثله قولنا :" قتل خالدٌ بكراً وسبقَ الفرسُ الأشقرُالفرسَ الأدهـمَ . ونطـح الثـورُ الاسـودُ الثـورَ الأبيضَ"وغير ذلك من الاشياء المتجانسة . وامَّا الذي ليس هو متجانس فمثل قولنا : " خلقَ اللهُ العالمَ . ورحمَ اللهُ زيداً . وركب زيدٌ الحمارَ . واكل عمرو الخبزَ .وشرب بكرٌ اللبنَ " وماشـاكل ذلـك ممَّـا مفعولهُ غير مجانس لفاعلهِ .

فلمَّا رأى السريانيُّون الفاعلَ والمفعول على هذين القسمين وانَّ المفعول لايلتبس بالفاعل الاَّ اذا كان مجانساً لهُ الاَّ في النادر حسبما أبيّنهُ أدخلوا على المفعول المجانس للفاعل حرفَ الـلام كمـا يدخلـهُ العرب على المفعول في بعض كلامهم نحو قولهم : " قال زيدٌ لعمروٍ . ودعا خالدٌ لبكرٍ" . ولم يُدخلوا هذا الحرف على المفعول الذي لايجانس الفاعل اذ لايلتبس بما تَقَدَّمَ عليهِ او تأخر عنهُ كمـا لايلتـبس قولنا " خلقَ الله العالمَ"سواءٌ تَقَدَّمَ اسمُ العالم على اسم الله او تأخر عنه اذ يستحيل ان يكون العالم خالقاً

والله تعالى مخلوقاً . كما لايلتبس قولنا : "رحم الله زيداً.وركب زيدٌ الحمارَ . واكل عمـــروٌ الخبـــزَ . وشربَ بكرٌ اللبنَ" وماشاكل ذلك ممَّا لايلتبس تقدَّمَ المفعول او تأخر أعرب ام لم يُعْرَب . فبإدخال اللام على المفعول المجانس لفاعله عرف السريانيُّون المفعول من الفاعل تقدَّم او تأخر .

وقد يتفق في النادر ان يكون مفعولٌ غير مجانسٍ لفاعله ويجوز وقوع الفعل منهما معاً نحو قولنا " ضرب زيد الفرس " فقد يُحتمل ان يكون المراد بهذا القول انَّ زيداً ضربَ الفرس ويحتمل ان يُراد به انَّ الفرسَ ضربَ زيداً . فكل مفعولٍ هذه صفتهُ يدخل السريانيُّون عليه ايضاً اللام ليفرق بينـــه وبـــين فاعله . ولمّا كان العرب انمّا يرفعون الفاعل وينصبون المفعول ليفرقوا بينهما وكان للسريانيين علامة تدلُّهم على الفرق بين الفاعل والمفعول هي أبْينُ من الرفع والنصب مااحتـــاجوا ان يرفعـــوا الفاعـــل وينصبوا المفعول كما تفعل العرب .

قال : ومالدليل على انَّ ادخال حرف اللام على المفعول أبيَنُ من رفع الفاعل ونصب المفعول في الفرق بينهما ؟

قلتُ : لأنَّ حرف اللام يفرقُ بين كل فاعل ومفعول وليس الرفع والنصب كذلك . وذلك اذا قلنا : " ضربتْ سلْمى السَّكْرَى . وكسرتِ العصا الرحى . وقتل سيبويهِ خالوَيْه " لم يَفرق الرفع والنصـــب بين فاعل هذه الافعال ومفعولها . وكذلك يجري الامر في سائر الاسماء التي لاتتصرف .

قال : فما فضيلةُ لغة السريانيين على لغة العرب ؟

قلتُ : انَّ فضيلة لغة السريانيين على لغة العرب هي انَّ كلام السريانيين مافيه التباس اذا تكلم بهِ احدٌ مشافهةً ولذلك استغنى عن النحو فيما يُشافهِ بهِ بعضهم بعضاً . وامـــا كـــلام العـــرب فكثيـــراً مايُلتَبس بهِ في المشافهة . والذي يلتبسُ منهُ على ضربَيْن : فمنهُ مايكشف النحو والإعراب لبسهُ كقول القائل :" ضرب زيدٌ عمراً وضربَ عمراً زيدٌ . واكرم خالدٌ بكراً واكرم بكراً خالدٌ"فان السامع يعلم انَّ زيداً هو الضارب لانه مرفوع وعمراً مضروبٌ لأنهُ منصوب . وخالداً مُكرمٌ لأنَّهُ مرفوع وبكراً مُكرَمٌ لأنه منصوب . وماشاكل ذلك من الاقاويل التي لولا الاعراب لالتبست .

واما مالايزيل النحو لُبْسَهُ كقول القائل : " ضرب عيسى موسى . وقتل القاضـــي الغـــازي . ورَحَمَ وكيلي خازني " وماشاكل ذلك من الاقاويل التي لايتميّز فاعلها من مفعولها . ومما يلتبس ايضاً ولايكشف الاعراب لُبسهُ كقول القائل : " لقيتُ زيداً مسروراً " فان السامع لايعلم صاحب الحال وهـــل المتكلم هو المسرور او زيد. ومثلهُ : " لقيت عمراً خجلاً . ولقيتُ بكراً مهموماً " وماشاكل ذلك . واذا كان الامر على هذا ولم يكن في كلام السريانيين اذا تكلّموا به مشافهةً مايلتبس بهِ كلام العرب التباساً يكشف النحوُ بعضهُ وبعضهُ لايكشفهُ عُلِمَ انَّ لغة السريانيين افضل من لغة العرب .

قال : ومافضيلة نحو السريانيين على نحو العرب ؟

قلتُ : " انَّ فضيلة نحو السريانيين على نحو العرب انّما هي انَّ نحو السريانيين ضـــروريٌّ ونحو العرب اصطلاحيّ". ويفضلهُ ايضاً بأنَّ نحو السريانيين ضروريٌّ يزيل اللبس الواقع في الكتاب ونحو العرب ليس يزيلهُ . فانا ابيّن ذلك بأمثلةٍ اذكرها فاقول :

انَّ الكلام مؤلَّف من جُمل . والجمل مؤلَّفة من مبتدأ وخبر ومن فعل وفاعل ومن خبر واســـتخبار وطلب وسؤال وامر ودُعاء وتعجُّب وغير ذلك . وقد تلتبس معاني هذه الاقسام بعضها ببعض اذا كتبت . فمن ذلك اختلاط جملة في جُملة نحو قول القائل : " وصل المصريُّون والشاميُّون والعراقيُّـــون لـــم يصلوا" فهذا قولٌ مؤلَّف من جملتين ويُحتمَل ان يكون المراد به " انَّ المصريين والشاميين وصلوا وانَّ العراقيين لم يصلوا" .ويحتمل انَّ المراد به انَّ المصريين وصلوا وانَّ الشاميين والعراقيين لم يصلوا . فاذا تكلَّم المتكلِّم بهِ بالسريانيَّة او بالعربيَّة مشافهةً علم السامع من اشارات المتكلّم ونغمات صوته هـــل المصريُّون والشاميُّون وصلوا كلهم او المصريين وصلوا ولم يصل الشاميُّون والعراقيُّون . فهذا القول

اذا كتب بالسريانيَّة فانَّ قارئه يفهم معناه كما يفهمهُ اذا سمعهُ مشافهة . وكذلك ايضاً يفهمهُ من يسمع قراءتهُ بالسريانيَّة . فامَّا اذا كُتب بالعربية فلاالقارىء ولاالسامع يفهمان معناه .

فلهذا السبب وقع الخِلف بين علماء المسلمين في قوله الوارد في القرآن(سورة آل عمران ع ٧) [٤٠] : " ومايعلم تأويله الاَّ الله والراسخون في العلم يقولون [٤١] آمنَّا " فقال بعضهم ان الله والراسخين في العلم يعلمون تأويله . وقال آخرون انَّ الراسخين لايعلمون تأويله وانَّما آمنوا به فقط . فنحو العرب ليس يدلُّ على حقيقة ذلك كما يدلُّ نحو السريانيين على المراد بهذا القول لو كان سريانيًّا .

ومن ذلك التباس المبتدأ بالخبروالخبر بالمبتدأ نحو قول القائل : " زيدٌ غلامُ عمرو" فانَّ هذا القول يُحتمل ان يكون كاملاً تاماً مركّباً من مبتدأ وخبر بانَّ زيداً مبتدأ وعمراً خبرهُ . ومحتمل ان يكون كلُّهُ مبتدأ يقتضي خبراً نحو قول القائل : زيدٌ غلامُ عمروٍ فاضلٌ" فقوله " زيدٌ غلامُ عمروٍ" مبتدأ [٤٢] وقوله "فاضل" خبرهُ . ومحتمل ان يكون خبراً لمبتدإٍ قد تقدَّمهُ نحو قول القائل " الوارد من الموصل زيدٌ غلامُ عمروٍ " فقوله " زيدٌغلامُ عمروٍ" مبتدأ مع بدله وقولهُ " الوارد من الموصل" خبرهُ واذا تكلَّم المتكلم بهذا القول الذي هو " زيدٌ غلام عمرو" بالسريانيَّة او بالعربيَّة مشافهةً يفهم السامع ايَّ قسم اراد به المتكلم من هذه الاقسام الثلثة وكذلك اذا كتب بالسريانيَّة . وامَّا اذا كتب بالعربيةً فلا يعلم القارىء ولاالسامع غرض المتكلم بهِ .

ومن ذلك التباس الإخبار بالاستفهام نحو قول القائل : " عالمٌ بالبصرة " فانَّ هذا القول يُحتمل ان يكون استفهاماً واذا تكلم به المتكلم بالسريانيَّة او بالعربيَّة مشافهة يعلم السامع عن اشارات المتكلم هل هو مخبر او مُستفهم . وكذلك اذا كُتِبَ بالسريانيَّة يعلم القارىء والسامع ذلك . وامَّا اذا كتب بالعربيَّة فلا القارىء ولا السامع يعلمان غرض الكاتب بهِ الاَّ بأن يُقدَّم عليهِ حرف الاستفهام .

ومن ذلك التباس الامر بالطلب نحو قول القائل : "أعطني مائة درهم" فانَّ هذا القول يحتمل ان يكون سؤالاً . واذا تكلَّم به المتكلّم مشافهةً بالسريانيَّة او بالعربيَّة يعلم المخاطَب به من اشارات مخاطبهِ هل هو مأمور او مسؤول . وكذلك اذا كتب هذا القول بالسريانيَّة فانَّ قارئه ومن يسمعُهُ يعلمان أهو امر او سؤال . وامَّا اذا كتب بالعربية فليس يعلم ذلك القارئُ ولاالسامع .

ومن ذلك التباس الإخبار بالدعاء نحو قول القائل : " غفر الله لك " فقد يحتمل هذا القول ان يكون خبراً ويحتمل ان يكون دعاءً فاذا تكلَّم به المتكلم بالسريانيَّة او بالعربية مشافهةً علم السامع غرض المتكلم . وكذا اذا كتب بالسريانيَّة يعلم القارىء والسامع ذلك . امّا اذا كُتب بالعربيَّة فلا يعلمان الغرض فيه ماهو .

ومنهُ التباس السؤال بالتعجب نحو قول القائل : " كيف خربت المدينة " فقد يحتمل هذا القول سؤالاً ويحتمل ان يكون تعجباً . واذا ورد مشافهة يعلم السامع الغرض منهُ وكذلك اذا كتب بالسريانيَّة . وامّا اذا كُتب بالعربيَّة فلا يُعلم الغرض منهُ . واذا كان الامر على هذا فقد ثبت انَّ نحو السريانيين يكشف مالايكشفه نحو العرب .

قال الوزير : " وانَّما يفيدنا نحْو العرب معرفة معاني كثيرة ملتبسة مثل القول الوارد في القرآن (سورة التوبة ع٣) : " انَّ الله بريءٌ من المشركين ورسولهُ " فانَّهُ لولا الإعراب توَّهم السامع او القارىء انَّ الله بريءٌ من المشركين ومن رسوله . ومثله قوله (سورة فاطرع ٢٨) [٤٣] انما يخشى الله من عباده العلماء" فانهُ لولا الاعراب توهَّم السامع والقارىء ان الله يخشى من العلماء . ومثل ذلك اقاويل كثيرة لولا الاعراب لالتبست على السامع والقارىء ".

قلتُ : " انهُ قد يتّفق انَّ اقاويل كثيرة لايكشف النحوُ لُبْسها مثل هذين القولين . واذا كان الامر على هذا فلا فخر في قولَيْن يكشف الإعراب لبسهما بالاتفاق وهولايكشف لُبْس اقاويل كثيرة مثلهما . فمن ذلك قول من يقول : " انَّ الله بريءٌ من المشركين وعيسى وموسى " ومثلهُ : " ان الله بريءٌ من

المشركين وسيبويه " او " بريء من المشركين وملّتي " او " بريء من المشركين ومرشدي الى الحقّ" فانَّ هذه الاقاويل جميعها ممّا لايكشف الإعراب لُبسها كما كشف لُــبس قولــهِ " ان الله بــريءٌ مــن المشركين ورسولهُ " .

" ومن ذلك ايضاً قول من يقول : " انَّ الله يعاقب المشركين ورســولهُ" ومثلــه" لعــلَّ الله يــرحمُ المظلومين ورسولهُ" فانَّ النحو لايكشف لُبْس هذه الاقاويل كما كشف لُبْس قوله " انَّ الله بــريءٌ مــن المشركين ورسولهُ" .

وكذلك قول من يقول : انَّما يسمع الله من علمائهِ وموسى " ومثلهُ " انَّما يخاف وكيلي من اصحابي وخازني " وماشاكل ذلك ممّا لايكشف النحوُ لُبْسَهُ كما كشف لُبْس قوله : " انَّما يخشى الله مــن عبــاده العلماء" . واذا كان الامر على هذا فقد ثبت انَّ نحو العرب ليس يكشف لُبْس كلّ الاقاويل الجارية فــي الكلام وانّما يكشف لُبْس بعضها بالاتفاق . على خلاف نَحْو السريانيين الذي يكشف لُبْس كل الاقاويــل كشفاً واحداً " .

قال الوزير : وكيف استخرج علماء السريانيين نحوهم وعلى ايّ اصول رتبوه ؟

قلتُ : انّ علماء السريانيين ابتدأوا فأحْكموا كلامهم إحكاماً لايُلتبس عليهم شيء منهُ اذا تكلّموا بــهِ مشافهةً . ثم بعد أن احكموا ذلك واتقنوه حددوا أقاويل كثيرة لاتلتبس مشافهة وانَّما تلتبس في الكتابــة مثل اختلاط جملة في جملة. والتباس المبتدأ بالخبر والخبر بالمبتدأ والتباس الخبر بالاستفهام والســؤال بالطّلب . وغير ذلك من اقسام الكلام المقدَّم ذكرها .

فبحثوا عن السبب الذي من اجلهِ لاتلتبس تلك الاقاويل اذا تكلّموا بها مشافهة وتلتبس في الكتابة عند سائر اهل الكتابة والخطوط فوجدوا انَّ السبب في ذلك هو اشارات المتكلم ورفعُ صوتهِ وخفضهُ ولينهُ وقوَّته حسبما يقتضيه معنى الكلام . وذلك انَّ المتكلم اذا كان سائلاً تكون اشاراتُه غير اشاراتهِ اذا كان مستخبراً . واذاكان مخبراً تكون اشاراتهُ غير اشاراته اذا كان داعياً . واذا كان مستفهماً تكون اشاراتهُ غير اشاراتهِ اذا كان مخبراً فجعلوا لكل قسمٍ من هذه الاقسام علامةً وهي نقطةٌ او نقطتــين او اكثــر يضعونها على القول واذا شاهدها القارىء علم ماهو المعنى وقرأها بالاشارات التي يعرفها الحاضــر عند سمعها .

وذلك انهُ اذا رأى القارىء على القول علامة الاستفهام قرأ ذلك القول باشارات الاســتفهام . واذا رأى عليهِ علامة التعجب او علامة الامر او علامة النداء قرأهُ باشارات التعجّب او الامر او النــداء . واذا شاهد عليه علامة القطع بين الجملتين وقف وقفاً يدلُّ على القطع . وكذلك اذا شاهد عليه علامــة انقضاء المبتدأ وإبتداء الخبر قطع قطعاً يدلُّ على ذلك . ولهذا السبب لا يلتبس على السريانيين شــيء من كلامهم وكِتابهم . واذا كان الامر على هذا فقد عُلم ان نحو السريانيين أجود من نحو العرب .

" وذلك انَّ نحو العرب تابعٌ لكلام العرب مرتَّبٌ على ما يقتضيه كلامهم المصطلح عليه . ونحــو السريانيين مبنيٌ على اصول عقليَّة وقياسات ضروريَّة . وقد بين ابو بكر محمّد بن زكريَّا الرازي في كتاب الطبّ الروحاني في الفصل الخامس منهُ انَّ نَحو العرب من العلوم الاصطلاحيَّة الضــروريَّة . وُحكي عن بعض الشيوخ العلماء انهُ قال في نحو العرب : انهُ علم مَن لا عِلم لهُ يفرحُ بهِ من لا عقل لهُ . وبيَّن ايضاً حنين بن اسحاق في المقالة الثالثة من كتابه في نحو العرب انَّ العرب ليس لهم نحــوٌ يعرفون منه المعاني الغامضة كما للسريانيين . ويستدَلُّ من قولهِ انَّ نحو العرب غير كاف ولا مُقنــع لمِا يُحتاج اليه . ولم أقُل ذلك وانا أقصد الطعن في نَحو العرب ولا ان أجحد فضــلهُ وشــرفهُ وانمــا قصدتُ من ذلك ان ابين أنهُ اذا قِيسَ نَحو العرب بنحو السريانيين وُجــد نحو العــرب دونــهُ ووُجــد السريانيين اكثر فائدة واعظم فضلاً " .

***

قال الوزير : وكيف علم اللغة عندكم ممَّا عند المسلمين ؟

قلتُ : انَّ علم اللغة ضروري عند سائر اهل اللغات بهِ تقوم معرفة الاشياء وإثباتها ومعرفة الافعال وتصريفها والحروف ومعانيها ومعرفة الزوائد والحذف والفك والادغام وغير ذلك من التصريف وللسريانيين في ذلك معرفة تامَّة .

قال الوزير : أفيستعملون المجاز في كلامهم كما يستعملهُ العرب ؟

قلتُ : لا يستعملون المجاز الاَّ ضرورة عند الحاجة اليهِ لأن استعمالهُ لغير ضرورة عيبٌ لا فضيلة . وذلك ان الكلام كلَّهُ على ضربين حقيقة ومجاز . فاذا كان حقيقةً كانت فيهِ كلفةٌ على المتكلم وسهولةٌ على السامع . لأن الكلام اذا كان حقيقةً لا يلتبس واذا كان مجازاً كان سهلاً على المتكلم مشتبهاً على السامع لأن اللُبس لا يقع في الكلام اذا كان حقيقة وانَّما يقع فيهِ اذا كان مجازاً . فلذلك ليس نرى استعمال المجاز الاَّ لضرورةٍ كما نستعملهُ في قولنا : ((سخط اللهُ ورضي وسمع وابصر)) وما شاكل ذلك ممَّا نوردُهُ مجازاً اذ ليس بوسعنا استعمالُهُ حقيقة . وامَّا استعمال المجاز حيث يمكن استعمال الحقيقة فهو عندنا عيبٌ وعجزٌ من المتكلم .

قال الوزير : ولو كان المجاز عيباً لما اكثر القرآن مجازاً .

قلتُ : أسأل الوزير أيَّدهُ الله ان يُعْفيَني من الكلام في مجاز القرآن .

قال الوزير : انهُ من المعلوم انَّ لغة العرب اوسع من سائر اللغات .

قلتُ : وما الدليل على ذلك ؟

قال : الدليل على ذلك اننا نجد لشيء واحد عند العرب اسماء كثيرة وليس عند السريانيين ولا عند غيرهم الاَّ إسمٌ واحد للشيْ وربَّما لم يكن لهُ عندهم اسمٌ أصلاً .

قلتُ : امَّا الاشياء التي لها عند العرب اسماء كثيرة فهي الاشياء التي يستعملونها كثيراً ويشاهدونها دائماً مثل السيف والفرس والجَمل والاسد والحمار وما شاكل ذلك . واقوى الاسباب في كثرة اسماء هذه الاشياء عندهم هو كثرة طوائف العرب واختلاف لغاتهم . ولجميع هذه الاشياء اسماء عند السريانيين وربمَّا كان للشيء الواحد اسماء كثيرة عندهم حسب اختلاف البلدان واللغات . واما القول بانَّ عند العرب اشياء ليس لها اسماء عند السريانيين فمُنكر اذ ليس عند العرب شيء لهُ عندهم اسمٌ يكون اسمهُ خالياً عند السريانيين . وانما اسماء الاشياء السخيفة القبيحة التي يستهجن الانسان ذكرها فانها في لغة العرب كثيرة الاسماء وفي لغة السريانيين قليلة حسبما ذكرهُ حنين بن اسحاق في كتابهِ الموسوم بـ : كتاب النُّقَط أعني نقط الكتب .

" ومما يدلُّ على انَّ لغة العرب ليست اوسع من غيرها انَّ عند السريانيين والروم والفرس اسماءً كثيرة مفيدة ليس لها عند العرب اسمٌ فمن ذلك العقاقير والادوية والآلات وغير ذلك من الاشياء المستعملة فانَّ اسماءَها عند السريانيين والروم والفرس موجودة وعند العرب معدومة . والدليل على ذلك انَّا نجد في كتب الطبّ والطبخ وغير ذلك من ذلك المنقولة الى العربي اسماء كثيرة قد أُخرجت اليهم بلغة السريانيين واليونانيين والفرس اذ لمُ يوجد لها عند العرب اسماءٌ تسمَّى بها . ولو نُقل الى السريانية كتاب من كتب العرب لمَا كانت فيهِ لفظة يتعذر وجود نظيرها عند السريانيين . واذا كان الامر على هذا فليس لغة العرب باوسع من لغة السريانيين " .

***

قال الوزير : وكيف الخط السرياني من الخط العربي في الحُسن والصحَّة والفائدة .

قلتُ : الخط السرياني اوضح واكثر فائدة من الخط العربي .

قال الوزير : وكيف ذلك ؟

قلتُ : " لأنَّ الحروف السريانية غير منقَّطة وغير متشابهة . والحروف العربية كثيرة التنقيط ومتشابهة كتشابه الباء والتاء والنون والياء . والجيم والحاء والخاء .والدال والذال . والراء والزاي .

والسين والشين . والصاد والضاد . والطاء والظاء . والعين والغين . والفاء والقاف . وفي كثرة التنقيط كلفة على الكاتب ولبس على القارئ . وتشابُه الحروف مُشكل حتى ان في القرآن وهو محفوظ بالدرس ومشكول ومضبوط خِلفاً كثيراً بين القُراء بسبب إشكال النقط وتشابه الحروف . ومن ذلك في سورة البقرة (ع٢٥٩) (٤٤) قولهُ : وانظُر الى العظام كيف نُنَشزُها "فقرأها قومٌ بالدال وقومٌ بالراء . وفي سورة طه (ع : ٩٦) : ((لمَ يَبْصُروا بهِ)) قرأها قومٌ بالتاء "لم تبصروا " . وفي سورة الانبياء عن داود (ع ٨٠) : " وعلّمناهُ صَنْعة لبُوسٍ لكم لِتُحصِنَكُم " فقرأها قوم بالياء " لِيُحصِنكم " وآخرون بالنون " لِنُحصِنَكُم " وفي سورة الحجّ (ع ٦٢) (٤٥) : " يَدعون من دونهِ " قرأها قومٌ بالتاء " تدعون "ومثل هذا في القرآن كثير اختلف فيه القرّاء . ومعلوم انهُ لو كانت هذه الحروف غير متشابهة لمَا وقع هذا الخلف في القرآن .

وقد اتفق في المكاتبات بين البشر لاجل تشابه الحروف ما يتجاوز عددُهُ الوصف كقولهم : " اقبلوا القوم " و " اقتلوا القوم " وما شاكل ذلك مالا يحصى ولا يُعَدَ ومما يدلُّ على انَّ الذين استخرجوا الخط العربي لم يُحكموا الامر في تشكيل الحروف ولا في تسميتها هو انهم سمَّوا اكثر الحروف المتشابهة بأسماء متشابهة في الخط وذلك مثل الباء والتاء والثاء فانَّ هذه الحروف اذا كُتِبت كانت اشكالها متشابهة ايضاً . وكذلك الحاء والخاء وبقية الحروف السابق ذكرها وكلُّها مما يلتبس اسمها وكتابها. واذا كتب الكاتب لفظة فيها حرف من هذه الحروف المتشابهة واراد ان يبينهُ ثنَى بذكرهِ ورقمهُ مصغَّرا تحت الحرف المشبوه لكنَّ تلك التثنية لرسم الحروف لا تفيد كثيراً لتشابه الحرفين . وكذلك تشابهِ اسم الحرف باسم الحرف الذي يشبههُ مثال ذلك ان يكتب الكاتب " نقَصَتْ "ثم يتبعهُ بقولهِ " بالصاد لا بالضاد " فليس يفيد قولهُ غير إعادة اللفظة . ولو كان اسم الصاد لايشبه اسم الضاد لكان لذلك فائدة بينة . وعلى هذا القياس يجرى الامر في سائر الحروف المتشابهة . وهذا التباس لا يدخل مثلهُ في خط السريانيين " .

قال الوزير : فهل حروف السريانيين تتصل بعضها ببعض كما تتصل حروف العرب ؟

قلتُ . نعم. فيها ما يتَّصل وفيها مالا يتَّصل لكن لا فائدة في اتصالها ولا ضرورة في تفريقها .

قال الوزير : وكيف ليس فائدة في اتصالها وهو أحسن للخط وأسرع في الكتابة وأبين للقارىء ؟

قلتُ : ليس في اتصال الحروف ما يحّسن الخط ولا ما يعين على سرعة الكتابة ولا ما يزيد في البيان . وذلك انهُ قد يتَّفق في الخط العربيّ الفاظ كثيرة مركبة من حروف مقطَّعة اذا أُلف منها كلام وكُتب يوجد الخط فيهِ مساوياً للخطّ المتصل الحروف في الحسن والسرعة وهو أبينُ للقارىء واوفق للضبط والشكل .

وقد كان جرى لرجلٍ رومي كان يكتب بالعربية مع بعض المسلمين مشاجرة في هذا المعنى فاستخرج فصولاً بالعربية مؤلَّفة من الفاظ مركَّبة من حروف مقطَّعة فبيَّن ان لا فائدة في اتصال الحروف ولا ضرورة في تفريقها . ومن جملة ما اورد هذا الفصل : " ورد داود الازرق واول ورْدِهِ لازمَ دَربْ دادان الازدي وزرع ارض زردق ارزاً وروض لاون ورداً " .

فمعلوم انه اذا كتب هذا الكلام وما يجري مجراهُ مما مؤلَف من حروف مقطعة كان الخط فيه مساوياً للخط المتصل الحروف في الحُسن والسرعة وهو أبيَن للقارىء واوفق للضبط والشكل منهُ . وبالعكس لو كتب الكاتب " جبيخل " وهو اسم أعجمي متصل الحروف مركب من جيم وباء وياء وخاء ولام فليس يتمكن الكاتب من نقطهِ وشكلهِ وهو متصل الحروف كما يتمكن من نقطهِ وشكلهِ لو كان متفرق الحروف . وكذلك " سجَحَ وسحَجَ وشحَجَ . وَحجَرَ وجَحَرَ وخجَرَ ومثل ذلك ممَّا لا يُحصى ممَّا لا يقع التمكين من نَقطهِ وشكلهِ اذا كان متفرق الحروف . فاذا كان الامر على ما ذكرتُ فليس للخط العربي فضيلة على الخط السرياني ولا في اتصال الحروف فائدة . وان كان في اتصالها فائدة فالخط .

***

فقال الوزير : فكيف علم كلام النصارى من علم كلام المسلمين ؟

قلتُ : "انَّ علم الكلام عند النصارى أبين وأوضح وأصح منهُ عند المسلمين لأنــهُ مبنــي علــى مقتضى شرعهم وموجب كتابهم وليس يوافقهم على اصولهِ وحدودهِ الا من يوافقهم علــى المــذهب . وكلام النصارى هو علم المنطق وهو مبني على مقتضى العقل واصول القياس فليس يخالفهم فيهِ احد لأنهُ يجري مجرى الحساب الذي لا خلف فيهِ عند سائر اهل الملل . ولذلك ترى درسهُ ونصرة ديــنهم منهُ ومن استعمالهم قوانينهُ في مناظرة مخالفيهم.

قال الوزير : انَّ المسلمين يرون ان درس علم المنطق وغيره من العلوم الفلسفية كفرٌ وإلحاد حتى انهم يعتقدون فيمن يطّلع فيها انهُ زنديق .

قلتُ : لاشك في أن أعظم مواهب الله تعالى على العبد موهبةُ العقل . وعلم المنطق مما يهذب العقل . فكل شرع ينفي علم المنطق هو مضاد للعقل . ويلزم من يعتقد انَّ المنطق مضاد للدين اقامته الدليل على انهُ ضد العقل ليصح قولهُ انهُ ضد الدين والدين لا يصح الا بصحة العقل . وهذا مما لا يتعاطــاه احد ممن يطلبون علم المنطق ولا ادّعاه . ونرى جميع المسلمين حرسهم الله يذمون هذا العلم وقد كان فيهم علماء . درسوهُ طمعاً في نقصهِ ولم يتمكن احد من ذلك " .

قال الوزير : انَّ المسلمين لم يمنعوا من درس المنطق والعلوم العقلية . ولا يعتقدون انهــا تضــاد العقل وانما منعوا منها لان الاشتغال بها يقطع عن النظر في العلوم الشرعية .

قلتُ : انَّ الاشتغال بجمع المال وطلب الرئاسة والمنازل العالية والحرص بالأكل والشرب والجماع يقطع عن النظر في العلوم الشرعية اكثر مما يقطعهُ الاشتغال في العلوم العقلية . فكان يجــب علــى المسلمين حرسهم الله ان يزهدوا في جمع المال وطلب الرئاسة والمنازل العالية والاكل والشرب وسائر الشهوات الجسدية اكثر من تزهيدهم بدرس العلوم العقلية اذا كان قصدهم في التزهيد بالعلوم العقليــة التوفر على العلوم الشرعية لان الشهوات الجسدية اعني محبة العز والرئاسة والمال والجماع تبعــث على الظلم والغشم والتغلب والعلوم العقلية تبعث على العدل واتباع الحق والتمسك بالشرع . واذا كان الامر على هذا فدرس كتب المنطق محمود غير مذموم " .

قال الوزير : انَّ لهذا القول ومما تقدمهُ من القول في النحو اجوبة ليس يتسع المجــال لــذكرها ، على انك والله ما تعديتَ فيما اوردته في هذه العلوم ولا علمتُ انَّ للنصارى مثلها .

وانقضى المجلس بحسن الفصل السادس ولله المنَّة وخالص الشكر.

مجالس ايليا مطران نصيبين (٤٦)
نشرها الاب لويس شيخو اليسوعي (تتمَّة)

وفي يوم الخميس العاشر من جمادى الآخر حَضرتُ مجلس الوزير فقال لي : ما الذي تعتقدهُ في أحكام النجوم ؟

اعتقاد النصارى في أحكام النجوم

قلتُ : الذي اعتقدهُ فيها هو انها تصحُّ في الكلّيات لا في الجزئيَّات

قال : وما معنى قولك انَّها تصحُّ في الكليَّات لا في الجزئيَّات ؟

قلتُ : معنى ذلك انَّها تصحُّ فيما يعمُّ كلَّ احدٍ ويتساوى فيهِ اهلُ كلُ بلدٍ مثل الكســوفات وتغييــر الأزمنة والأهوية والحرّ والبرد ونحو ذلك ممَّا يتعلّق بالشمس وفعلها وباتصال القمر والكواكب بهــا . وامَّا فيما يخصُّ زيداً او عمراً فليس يصحُّ حكمُها لانَّ ذلك ممَّا يؤدي الى الإجبار ويمنــع ان يكــون الإنسان مخّضيراً في اعمالهِ .

والدليل على انَّ الإنسان مخيَّر غير مُجْبَر هو انَّ الأمور على ثلثة ضروب : ضــروري ومُمكــن وممتنع . فالضَّروري نحو قولنا : ((الناطق حيٌّ)) . فهذا قول صادق بقسم الضَّرورة لانهُ ليس ناطق

الاَّ حيًّا . والممكن كقولنا : ((زيد جالسٌ)) فهذا مما يجوز ان يكون صدقاً ويجوز ان يكون كذباً . لانهُ يجوز ان يكون زيد جالساً ويجوز ان يكون قائماً او نائماً . والممتنع نحو قولنا : ((زيد يطير)) فهذا قول كاذب اذ لم يسمَع انَّ الانسان يطير (٤٧) . واذا كان الامر على هذا وثبتت الامور الثلثة بطَلَ ان تكون احكام النجوم صحيحةً . وذلك لانَّها مبنَّيةٌ على انَّ جميع ما يجري في العالم توجبُهُ حركة الكواكب . فما اوجبتَهُ لا بُدّ من كونهِ وما لم توجبهُ لا يمكن وقوعهُ وليس قسمٌ ثالث .

ولو كان الامر على هذا بطلَ ان يكون الانسان مخيَّراً ولزم ان يكون مُجْبَراً مكرهاً . ولو كان هذا الامر صحيحاً لَما وجب ان يرتأي الانسان في أموره ولا ان يشاور احداً فيما يعملهُ ولا ان يُحْمَد على الخير او يُذم على الشر لأنَّ كلاً منهما حَتم لازمٌ لابدّ من وقوعهِ سواء اختارهُ الفاعل ام لم يَختَرهُ . وهذا باطل من موجب العقل وقوانين المنطق . والدليل عليهَ انهُ اذا امتحن الانسان علم احكام النجوم وجدهُ علماً اصطلاحياً لا طبيعياً وانهُ يجري مجرى الزَّجر (٤٨) والفأل (٤٩) والكاف (٥٠) والكهانة (٥١) وما شاكل ذلك من الامور التي لا حقيقة لها ولا بُرهان يدلُّ على صحَّتها كاحكام علم الحساب وعلم الهيئة المنسوبين الى الفضلاء .

ثَّم انَّ احكام النجوم متى عدل الانسان في أمورهِ اليها انفسدت أحوالهُ وذلك انّ اكثر موهبةٍ وهبها الله الانسان موهبة العقل . فربَّما اقتضى رأي الانسان فِعْل امر من الامور وأوجب حكمُ النجوم التوقف عن ذلك الفعل فيخالف رأيهُ وعقلهُ ويتبع حكم النجوم فيشطّ ويغلط . وقد رأينا خلقاً كثيراً من الناس عرضت لهم حوائج عند السلطان وغيرهَ واقتضى الرأي والحزم تقديم الحركة في ذلك واقتضى بخلاف ذلك حكمُ النجوم التوقّف فاعتمدوا على مُوجب حكم النجوم ففاتهم مطلوبهم .

ويلزم ايضاً من يفعل بهذه الاحكام ويعتقد صحَّتها احدُ امرين : امَّا ان يفضّلها على عقِله وامّا ان يفضل عقلهُ عليها فان فضلها على عقله لزمهُ متى حدث لهُ امرٌ يقتضي رأيهُ وعقلهُ فعلهُ او العدول عنهُ ويقتضي حكمُ النجوم ضدَّ ما اوجبهُ عقلُهُ ان يعدل عن موجب عقلهِ الذي هو اكبر مواهب الله تعالى عندهُ الى احكام النجوم .

ومتى فعل ذلك فقد تجاهل وغَرَّ بنفسهِ وربماً عطَبَ كما قد رأينا كثيرين عطبوا عند سلوكهم هذه الطريقة . وان فضّل عقلَهُ عليها فلا حاجة لهُ اليها .

قال الوزير : فقد رأينا لاصحاب النجوم إصاباتٍ عجيبة تدلُ على صحَّة هذا العلم .

قلتُ : وقد رأينا لاصحاب الزجر والفال والكاف والكهانة اصاباتٍ بالاتفاق اعجب من إصابات احكام النجوم حتَّى رأينا وسمعنا عن الزرَّافين (٥٢) انهم يأتون بأمور تجري مجرى المعجز . ورأينا ايضاً عجائز يطرحنَ بالشعير والحصى فيُصبِنَ بالاتفاق اصابات ظريفة . وليس نسلّم مع ذلك انَّ هذه علوم صحيحة . فاذا كان الامر على هذا فليس يجب ان نجعل اصابات المنجّمين دليلاً على صحَّة الأحكام .

ومن الصحيح الذي لا شكَّ فيهِ انَّ من تمسَّك باحكام النجوم عَدِمَ من التوفيق بمقدار تمسكُّه بها والعلَّة في ذلك انهُ يخالف الشرعَ الذي قد فُرض عليهِ اعتقادهُ والعقلَ الذي هو اكبر مواهب الله عندهُ . ومن خالف عقلَهُ فقد جحد نعمة الله عليهِ .

قال الوزير : والله قد زهَّدَتني كلّ التزهيد في هذا العلم .

اعتقاد النصارى في المسلمين

ثَّم سألني وقال : وكيف اعتقادكم في المسلمين وفي غيرهم من مخالفيكم ؟

قلتُ : ((انَّ الذي نعتقدهُ في المسلمين حرسهم الله هو انهُ تلزمنا طاعتُهم ومحَّبتهم أكثر ممَّا تلزمنا طاعة جميع أهل المُلك والممالك المخالفة لنا سواء كنّا في بلادهم ام خارجين عنها سواء أحسنوا الينا ام لم يحسنوا . وذلك لانَّ المسلمين يرون صيانتنا وإعزازنا والإحسان الينا ديانةً وفرضاً . ومَن

تعدَّى علينا منهم كان صاحبُهم أي نبيَّهم خِصمْهُ يوم القيامة . وشرُعهم يحمدنا ويميزنا من بين سائر اهل الملل وامَّا المجوس والهند والصابئون [٥٣] وسائر المخالفين لنا فليس يرون إجمال مقالتنا والاتقاء علينا اذا حصلنا ذمَّة لديهم ديانة لكن سياسة وليس يُبقُون علينا ان ابقوا ولا يُجملون معاملتنا ان أجملوا إلا سياسةً . واذا كان المسلمون حرسهم الله يرون ترك اذَّيتنا واجمال معاملتنا والاحسان الينا ديانة وغيرهم انَّما يفعل ذلك سياسة فتلزمنا طاعة المسلمين ومحبَّتهم اكثر ممَّا يلزمنا لغيرهم من مخالفينا .

وممَّا يوجب علينا ايضاً ذلك انَّ المسلمين يعترفون بالمسيح ويعتقدون انهُ كلمة الله وانَّهُ حيٌّ في السماء والمِلل الاخرى تجحدُهُ وتعتقد فيهِ انهُ ساحر كذَّاب قد مات وبليَ في الارض وليس يجوز أن يكون عندنا اهلُ ملَّةٍ يعتقدون في المسيح الاعتقاد الاول ولو اساءوا الينا وتعدَّوا علينا مثل اهل الملل الأخر التي تعتقد في المسيح الاعتقاد الثاني ولو احسنَ اهلُها الينا وانعموا علينا.

ثم انَّ المسلمين ايضاً حرسهم الله اذا ظلمونا وآذونا ثم رجعوا الى شرعهم وجدوهُ غير حامدٍ لهم على اذَّيتنا وظلمنا واهلُ الملل الأخر اذا اكرمونا واحسنوا الينا ورجعوا الى شرعهم وجدوهُ غير حامدٍ لهم على ذلك . فأذَّية المسلمين لنا وتعديهم علينا وهم يعتقدون انهم مخالفون لشرعهم فيما يفعلونهُ معنا من ذلك احبَّ الينا من إحسان غيرهم ممَّن يعتقد انهُ مخالف لشرعهِ في احسانهِ الينا .

وايضاً ليس ملَّة من الملل المخالفة للاسلام اقرب مَوَدَّةً للمسلمين من ملَّة النصارى لأن جميع الملل المخالفة للمسلمين تخالفهم فيما لا تخالفهم فيهِ ملَّة النصارى . فان المجوس والهنود والصابئين يخالفون المسلمين في موسى والمسيح ومحمَّد بن عبد الله واليهود يخالفونهم في المسيح ومحمَّد بن عبد الله امَّا النصارى فما يخالفونهم الاَّ في نبوة محمَّد بن عبد الله . ومع مخالفتهم لهم في ذلك فهم يدعون لدولتهم ويسألون الله تعالى دوامها وان يسبغ عليهم رحمتهُ في الآخرة ويوّفقهم لطاعتهِ ويغفر ذنوبهم ويورثهم النعيم في الآخرة .

وأما الملل الأخر فمع بُعدها من المسلمين اكثر من بُعد النصارى فليس فيها ملَّة تستجيز بان يدعوا لهم بما يدعو لهم بهِ النصارى . واذا كان الامر على هذا فقد وجب على النصرانيّ ان لا يخالف المسلم اذا سامهُ ما يخالف شرع احدهما اعني شرع الاسلام او شرع النصارى ومتى خالفهُ فقد خالف الله تعالى الذي فرض علينا الطاعة للسلطان بعد طاعة الله . وشرعُنا يتضمَّن انَّ من خالف امر السلطان فقد خالف امر الله تعالى . فكل نصراني يخالف المسلم اذا سامهُ شَرع الاسلام او شرع النصرانيَّة فقد اطاع ذلك النصراني الله تعالى في تلك المخالفة وأحسَنَ الى ذلك المسلم واستحقَّ الشكر منهُ اذ نزَّههُ من مخالفة دينهِ وشرعهِ . وذلك انهُ قد فُرض على المسلم ألاَّ يُكْرِهَ النصرانيّ على دينهِ وفروضهِ ولا يغصبهُ شيئاً من حقوقهِ ولا يقصد أذيتهُ والتحامل عليه .

فمتى حفظ المسلم هذه الفروض لزم النصرانيَّ أن لا يخالفه في سواها . وذلك مثل مستور يلتمس من نصراني موسر مايدفع به ضيقتهُ . ومثل مسلم يقع في شدَّة ويلتمس من نصراني ان يساعدهُ مساعدةً يقدرُ عليها . ومثلُ مسلم يُسوم نصرانياً ان يعيره جاههُ في حاجةٍ تعرضُ له اويدفع عنهُ اذَّية يتمكن من دفعها بالحيلة او بالقوة . ومثلُ مسلم مظلوم يهربُ من ظالمهِ ويلتجيء الى النصراني وما شاكل ذلك من المؤاسيات التي ينتفع بها المسلم وليس فيها مخالفة للشرع فانهُ يلزم النصراني المسارعة اليها والمساعدة عليها اذ ليس فيها عليهِ مضرّة في دينهِ .

فهذا ما يلزم النصارى للمسلمين وكذلك يلزم المسلمين للنصارى ان يقربوهم ويحسنوا اليهم ويميزوهم اكثر من سائر الملل وان يعتمدوا صيانتهم وتجنُّب ظلمهم وكف الاذيَّة عنهم وعن بيعهم وبيوت صلواتهم وإكرام متقدميهم وألا يعارض حكام المسلمين حرسهم الله حكَّامهم في أحكامهم . واذا جاء بعض النصارى الى حاكم المسلمين يلتمس ان يحكم بينهُ وبين نصراني آخر مثلهِ يردُّه الى اهل دينهِ وحكامهِ .

قال الوزير: انَّ القرآن الشريف يوجب على حاكم المسلمين ان يحكم بين النصارى وغيرهم .

قلتُ : انَّ القرآن انَّما يوجب ذلك على حاكم المسلمين اذا رضي الذميان من اهل الكتاب بحكمهُ امَّا اذا رضي احدهما وامتنع الآخر فليس لحاكم المسلمين ان يُكره الممتنع الى الرضا بحكمهِ . واذا تراضى النصرانَّيان بحكمهِ فهما مخيرّان أن يحكم فيهما او لا يحكم لقول القرآن (سورة المائدة ع ٤٢) : ((فان جاءُوك فاحكُم بينهم او أعرض عنهم وإن تُعرض عنهم فلن يضروك شيئاً وان حكمت فاحكم بينهم بالقِسط)) فقولهُ ((ان جاءُوك فاحكم بينهم)) يستوعب الخِصمين وقولهُ ((او أعرض عنهم)) يدلُّ على التخيير اذا حضر الخصمان . والفقهاء المفسّرون مُجْمعون على ذلك .

قال الوزير : والله لقد قرَّرتُ في نفسي وجوب حقّ النصارى على المسلمين إلا الاشرار منهم فإنهم لا يستحقُّون على مذهبك الاَّ القتل .

قلتُ : والاشرار من المسلمين ايضاً ما يستحقون على مذهبك الاَّ القتل .

قال : الامر على ما ذكرت .

اعتقاد النصارى في النفس

ثم قال الوزير : أيعتقد النصارى انَّ النفس جوهر كما تعتقد الفلاسفة او آنها عرض كما يعتقد المسلمون ؟

قلتُ : الذي تعتقدهُ النصارى انَّ النفس لاعَرَض .

قال الوزير : وما الدليل على ذلك ؟

قلتُ : الدليل على ذلك هو انّ العرَض لا تحلُّ فيهِ الأعراض ولا تتعاقبهُ الاشياء المتضادَّة . ونرى النفس تدخل عليها الاعراض وتتعاقبها المتضادَّات مثل العلم والجهل والتقوى والفسق والخير والشر . فلو كانت عرضاً لما تعاقبت هذه المتضادَّات عليها .

وممَّا يدلُّ ايضاً على ذلك المنامات التي يراها الانسان في الحلم فانّ الانسان يرى في حال نومهِ اموراً غائبة او بعيدة او مستقبَلة وحواسُّهُ ساكنة باطلة وجسدُهُ كالميت لا يحسُّ فيدل ذلك على انَّ النفس ترى تلك الرؤيا وتحفظها ثمَّ اذا استيقظ الجسد تتذكرها وتعرّفهُ ايَّاها . فلو كانت النفس عرضاً لما جاز ان ترى الغيب وتتصورَّهُ وتحفظهُ وتذكرهُ بعد وقتً اذ ليس ذلك من صفات العرض [٥٤] فاذا كان الامر على هذا عُلم ان النفس جوهر لاعَرَض . ولمَّا كان هذا الجوهر يرى عند سكون الحوادث وبطلانها ماهو افضل ممَّا يراهُ الجسد وهو مستيقظ وحواسُّهُ متَّصفة بافعالها عُلم ان هذا الجوهر افضل من جوهر الجسد اذ الجسد لا يرى الشيىء الغائب والنفس ترى ذلك .

قال الوزير : انَّ الكلام في النفس كثير وليس هذا وقتهُ .

ثم قال :((اريد ان تكلّف الرهبان الفضلاء في الأعمار والاديرة التي تحت يدك وبالقرب منك ان يدعوا لي ويسألوا الله مساعدتي على اموري)) .

قلتُ :((انَّ الرهبان ليس يدعون للانسان بان يطيل الله عمرهُ ولا ان يزيد مالهُ ولا ان يُكثر نسلهُ [٥٥] وانَّما يسألون الله ان يصنع به مالهُ فيهِ الخيرة وَقعَ ذلك بموافقته ام لم يقع وأن يصلح نيَّتهُ ويوفقهُ الى طاعتهِ . فانَّ بصلاح النيَّة والتوفيق يكون صلاح الشأن وبلوغ الامل لأنّ الانسان اذا كان موَّفقا جيّد النيَّة لا يؤمل ولايتمنى الا ما يبلغهُ ويصل اليهِ ولم يتأسَّف عليهِ اذا فاتهُ تأسفاً يؤلم قلبهُ . فان كان الوزير اطال الله بقاءهُ يقتنع مني بذلك تقدَّمتُ الى رهباننا بمواصلة الدعاء لهُ فان رام الاشياء الاخرى فلا يسومّ القوم ما ليس بشائع عندهم.

قال الوزير : انَّ الذي اريدهُ واتمَّناهُ ليس إلا احد امرين اما عزّ في الغاية وامَّا زهد في الغاية . فاني لا أطمع في الزهد لانّ عادتي قد جرت بكثرة من يخدمني والزاهد يحتاج الى ان يخدم نفسهُ وهذا ممَّا لا سبيل اليهِ . وامَّا العز فنفسي تهواهُ وتتمناهُ ومع قلَّة طمعي فيه فاني لست مؤيساً منهُ . واذا كان

الرهبان لا يدعون للانسان بما يتمناهُ من امور الدنيا فأريد ان يدعوا لي بما فيهِ الخيـرة وان كانـت الخيرة مقرونة بضدّ ما اتمنَّاهُ .

فأجبتُهُ الى ملتمسه وكان ذلك قبل مسيرهِ من نصيبين بثلثة أيام وكان قد جرى لي معهُ فـي هـذه الثلثة أيام كلام في مسائل تتعلّق باخلاق النفس وآداب الرهبان والزهّاد وبالعلوم العقليَّة ممَّـا تجنَّبـتُ ذكرهُ لطوله . وبعد مسيرهِ اجتمعتُ مع الرهبان في الأعمار المحروسة وخاطبتهم في ما كان التمسـهُ الوزير فتواردوا جميعهم بالدعاء بان يصنع الله اليهِ ما لهُ وللناس فيهِ المصلحة الشاملة .

ثم عاد الى نصيبين بعَود الحضرة النَّصرية [٥٦] حرس الله عّزها يوم الخميس الثامن من ذي القعدة واقام بها خمسة وعشرين يوماً وجرى لي معهُ فيها مذكرات ومسائل عدَّة في اعتقاد اليهود وتاريخ آدم وغيرهِ من التواريخ القديمة وتغيير اليهود لها وفي الآثار العلويَّة وغير ذلك ممَّا يطول شرحهُ .

وعاد ايضاً الى نصيبين دفعة ثالثة ودخلها يوم الاحد السابع عشر من جمادى الاولى من هذه السنة وهي سنة ثمانية عشرة واربعمائة [٤١٨هـ] واجتمعتُ معهُ فقال لي : اعلم اني احسُّ بوجـع فـي احشائي . والشيخ ابو سعد اخوك [٥٧] كان قديماً يراعي امري ثم أهملني فأريد ان تعاتبَهُ على فعلـهِ . ولمَّا اجتمعتُ مع الاخ حرسهُ الله عرَّفتُهُ ذلك فقال لي : ((اعلم انني كنتُ أراعي امر هذا الرجل ثـم انني رأيتُ في منامي في بعض الليالي كأني دخلتُ اليهِ على الرسم ووصفتُ لهُ ما يستعملهُ وخرجـتُ من عنده . واذا في صحن دارهِ ستَّة اشخاص او سبعة من لابسي الصوف بزي الاساقفة . فقـال لـي احدهم وهو رجلُ شيخ : أتعرفني ؟ قلتُ : لا . قال : انا شمعون [٥٨] وانَّ الله لا يريد ان يشفي هـذا الرجل أفتريد ان تشفيهُ بشدَّة ؟ قلت : لا يامار شمعون . وانتبهتُ ومن ذلك اليوم لـم اتجاسـر علـى ملازمتهِ لعلمي انهُ لا تطول مدَّتهُ)) .

وقد تَّم الامر ايها الاخ الجليل كما ذكر فانَّ الوزير بعد أن اقام بنصيبين عشرة ايـام عـاد الـى ميأَفارقين وبعد مدَّةٍ قريبة قوي مرضهُ وتوّفي يوم الاحد الحادي عشر من شهر رمضان أنسى الله في أجَلِكَ وجعل لك اطول الاعمار مع احسن الاحوال واكمل الافعال .

ولولا تجنبي التطويل لضمَّنتُ هذه الرسالة جميع ماجرى لي معهُ من الكلام في المسائل المقـدم ذكرها . وان آثرتَ ادام الله حراستك ذكر ذلك ذكرتُهُ في رسالةٍ أُخرى واصدرتُها اليك.

ولما كانت هذه الرسالة تتضمَّن في امر المذهب وغيرهِ ما ربَّما شكَّ فيهِ احدٌ من بين المسلمين لقلَّة بصيرتِه في العلوم البيعيَّة رأيتُ ان اجمع في كتاب آخر شواهد من الكتب المقدَّسة في التوحيد والتثليث والاتحاد والحلول والرؤيا وغير ذلك من المعاني المقدَّم ذكرها وان اجعل ذلك سريانيًّا وعربياً لتتحقّق صحَّتُهُ ويقرب فهمهُ . وعند الفراغ منهُ بمشيئة الله أبادر بهِ اليك فالله يوفقك في جميـع متصـرفاتك ويجعل سعادتك متزايدة جزيلة مع الساعات تزايداً لا يقف عندهُ نهاية ويبلغك في دينك ودنياك غايـة الآمال والامنيَّة ويستجيب منك صالح الأدعية بصلوات الطاهرة أم للنور وجميع القديسين آمين .

وبعد اتمامي هذه الرساله أيها الاخ الجليل ادام الله حراستك رأيتُ انفاذها قبل وقوفك عليها الـى الشيخ الجليل القسيس الملفان الفيلسوف ابي الفرج عبد الله بن الطيّب [٥٩] كاتب قلاَّية الجثلقـة ادام الله تأييدهُ ليتأملها ويذكر ما عندهُ فيها . فعند وصولها اليهِ وبعد تأمله مضمونها كتب بخطّهِ في آخرها ما هذه حكايتهُ :

((قرأتها ودعوت لبقاء قدس واضعِها ابينا المعظّم صلواتهُ على العالم وهو على الحسن والصـحَّة والموافقة للكتب البيعيَّة ولا يمكن من يحبّ الحقّ ان يرفع لفظةً منها . وكتب عبـد الله بـن الطيـب بخطهِ)) .

وأجاب عن الكتاب الصادر اليهِ في معناه بما نسختُهُ بعد السلام والدعاء والثناء : ((... قبل الخادم والتلميذ الأصغر خطّ اليدين المقدَّستين المطهَّرتين اطال الله بقاء سيدنا وابينا الاب المعظَّم في السـماء والارض الكاهن الحقيقيّ الفائض بالقدس والطهارة الذي اذا قال أخرس واذا فعل أبهر المطران الأجلّ

ادام له الله العلوّ والبسطة وحفظ العالم بصلواتهِ وصانَ بهِ زمانهُ واستولت البركات عليهِ نفسيَّة وجسميَّة . ونشكر الله الكريم حيث خصَّهُ بهذه الموهبة ومنحهُ هذه المنحة . ثمَّ يعلن انهُ امتثل بقراءة الجدال الذي سُرَّ بقراءَتهِ فتنزَّه في تلك الرياض الشرعيَّة والعقليَّة المبهرة وعلم انَّ الروح نطق على ذلك اللسان كما نطق مزمار الروح القدس على سواه . وقد وجدهُ من الصحة بحيث يذعن لهُ المعاند فضلاً من ان يطرب لهُ الموافق للحضرة المقدَّسة المطهّرة المؤيدة بالنعم الالهيَّة والمواهب السماويَّة الحاوية العلوم والفضائل ... ليسعد في دنياهُ وأخراهُ ان شاء الله .

وقد جاء في آخر النسخة المصونة في الفاتيكان تحت العدد ١٠٠ :

تمَّت رسالة الاب الفاضل ايليا مطران نصيبين واعمالها النسطوريّ الى ابي العلاء صاعد بن سهل في ذكر المجالس التي جرت بينهُ وبين الوزير [الحسين] ابن عليّ المغربيّ . وكُتب عن نقل السيّد المطران انبا ثاوفيلوس مطران دمشق واعمالها نيَّح الله روحهُ ونوَّر ضريحهُ وجعل لنا معهُ حظًا ونصيباً يوم الدين بشفاعة السيّدة ام النور مريم الطاهرة البتول وجميع القديسين . يارب سامح الناسخ المسكين بخطاياهُ ((كلمَنتي كراجلي)) وقع الفراغ من نسخها يوم الثلثاء المبارك في أواخر شهر تشرين الأول سنة ١٧١٤ . وقد نُسخ في مدينة رومية عن نسخة عتيقة فيها مكتوبة في يوم الجمعة الخامس والعشرين من شهر آب سنة الف ومائتين واثنتين واربعين للتجسُّد الإلهي لذكرهِ السجود والاكرام .

وهذا ختام النسخة المصونة في المكتبة المارونيَّة الحلبيَّة : ((تمَّت الرسالة وذلك يوم الجمعة اثني عشر تشرين الآخر سنة ١٩٤٢ يونانيَّة (١٦٣١ مسيحيَّة))) .

خلاصة ترجمة ابي القاسم الحسين بن علي المغربيّ : [٦٠]

انَّ الوزير ابن المغربي المذكور في هذه المجالس كان من مشاهير زمانهِ وقد خصَّهُ ابن خلكان في كتابهِ وفيات الاعيان بترجمة واسعة ويرقي هناك نسبهُ الى ملوك العجم الساسانيَّة . كان اولاً مقيماً في مصر في دولة الفاطميين فقتل الملكُ الحاكم بامر الله اباهُ وعمَّهُ واخويه سنة ٤٠٠هـ (١٠١٠م) فهرب هو الى الرملة ثُم الى الحجاز وأثار اصحابها على الحاكم حتَّى خاف الحاكم على ملكهِ . ثُم قصد العراق هارباً من الحاكم ولاذ بفخر المُلك ابي غالب الوزير وتوَلّى في العراق والموصل عّدة اعمال وقُلد وزارة الملك مشرف الدولة البوَيهي وكان آخر ما انتهى اليهِ امرهُ أن قصد ابا نصر ابن مروان الكردي صاحب ديار بكر وميافارقين فوزر لهُ الى وفاتهِ في ١٣ رمضان سنة ٤١٨ في ميافارقين ونُقلت جثَّتهُ الى الكوفة فدفن في تربة مجاورة لمشهد الإمام عليّ . وكان بلغ من العمر ٦٤ [٦١]سنة . وكان اديباً شاعراً لهُ ديوان شعر ومن تآليفه كتاب الايناس صغير الحجم كثير الفائدة وكتاب ادب الخواصّ وكتاب المأثور في مُلح الخدور وغير ذلك .

الملاحق
(الدراسات والبحوث)

ملحق رقم (١)
ايليا النصيبيني وكتاب دفع الهم(٦٢)
عجالة للاب لويس شيخو اليسوعي

لقدماء النصارى في الشرق آثار عديدة في العلوم والآداب العربية اخذت قسماً كبيرا منها يدُ الضياع . امَّا الباقي فلا يزال معظمه مطموراً في زوايا النسيان ينتظر همَّة اهل البحث ومحبي العاديات ليبرزوه الى عالم النور ويبعثوه من سباته .

ومن جملة هذه التآليف الحسنة المنسية كتاب نفيس يدعى ((دفع الهم)) لايليَّا النسطوري مطران نصيبين عني بطبعه ومقابلته وتنقيحه الخوري الفاضل الاب قسطنطين الباشا احد رهبان دير المخلص الباسيليّين المحترمين نشره منذ عهد قريب في مطبعة المعارف في القاهرة واتحفنا بنسخة منهُ .

ولمّا كان لصاحب التأليف شأن عظيم في تاريخ اهل نحلته وكان للكتاب المنسوب اليه من المزايا مايجعله ((للعالم مجلَّة حكمة وللمتعلم الصغير كتاب قراءة وتهذيب وللمتأدب الكبير كتاب بلاغة وانشاء ولرجل الدين سفر مواعظ وآداب)) احببنا ان نفرد لكليهما بحثاً موجزاً ليقف قارىء المشرق على حقيقة الأمرين فنقول :

١

نصيبين مدينةٌ قديمة في جنوبي ماردين كانت تُعد في عهد الرومان من امهّات المدن وحواضرها وكان السريان يدعونها صوبا ثم دخلت في حوزة الاسلام وبقيت عامرة دهراً تعتبر كقصبة بلاد ربيعة وهي اليوم ضيعة خاملة الذكر . ففي هذه البلدة ولد سنة ٩٧٥ للمسيح احد مشاهير الملّة النسطوريَّة اسمهُ ايليّا برشينايا (بر شِينُيا وضبطه البعض شِينُيا) ويدعوه العرب ابن شينا امَّا حضرة الخوري ق. الباشا فقد عرَّب اسمهُ بابن السني ولانعرف على أي سند دعم تعريبهُ هذا ولعله ظنَّ انَّ شِينُيا مرادفة شِينُيا نسبة الى شِنُا بمعنى السنّ مدينة على دجلة فوق تكريت . وكذلك قد وهم حضرته ووهم معه الشيخ ابراهيم اليازجي في الضياء (ص٤٠٤) اذ دعواه بابي الحليم وزعما انهُ صاحب الخطب المشهورة . والصواب انَّ ابا الحليم بطرك نسطوري عاش بعد اليا النصيبيني بنحو ١٥٠سنة (راجع كتابنا مجاني الادب الجزء الرابع ص ٢٩٧) .

وزهد اليَّا منذ حداثته في الدنيا وترَّهب في دير القديس ميخائيل بجوار الموصل وتخرَّج في آداب العيشة الرهبانَّية على الارشيمندريت يوحنَّا المعروف بـ :الأعرج ثم تجرَّد للعلوم الدينيَّة والدنيويَّة فبلغ خبرهُ نثنائيل اسقف مدينة السن" الذي صار بعد ذلك بطركًا على النساطرة باسم يوحنَّا الخامس (١٠٠١-١٠١٢م) فوجدهُ أهلاً للكهنوت فسامهُ كاهناً . ثم انتقل اليّا المذكور الى دير سمعان المبني على ضفة دجلة بازاء مدينة السن . وفي السنة ١٠٠٢ سُقف على بيت نوهدرة فدبَّر هذه الكنيسة الى غاية سنة ١٠٠٨ وفيها جعلهُ البطرك يوحنّا الخامس مطراناً على نصيبين فرعاها بنشاط وجدّ نيفاً واربعين سنة . وكان البطرك يوحنا السادس برنزول (١٠١٢-١٠٢٠) خلفُ يوحنّا الخامس يجلُّ اليّا النصيبيني ويركن اليه في مهماته . وخلفه ايشو عياب برحزقيال (١٠٢٠-١٠٢٥) فجرى بينه وبين مطران نصيبين خلاف وشحناء لم تنطفىء جذوتها الى عهد البطرك اليَّا الاول (١٠٢٨-١٠٤٩) وكان هذا سابقاً اسقفاً على ترهان ويُعدّ من ائمة زمانه لهُ عدَّة تصانيف تشهد له بالعلم الواسع . وكان بينهُ وبين اليَّا بن شينا وداد ومراسلات . وعاش اليَّا مطران نصيبين مدة بعد سميه كما يظهر من بعض رسائله . وقد ذكر حضرة الخوري قسطنطين الباشا (ص٤ في الحاشية) انهُ توفي في ميافارقين سنة

١٠٤٩ . امّا حضرة القس جبرائيل القرداحي فانه روى في كتابه تراجم شعراء السريان المعروف بـــ :الكنز الثمين انَّ وفاة ابن شينا هذا كانت في بعض شهور سنة ١٠٥٦ . ولا نعلم على أي دليل استند كلاهما لاننا لم نجد تاريخ وفاة اليَّا النصيبيني في مالدينا من التآليف العديدة التي ورد فيها ذكرهُ .

٢

وان تقصَّينا الآن مالايليَّا النصيبيني من التآليف وجدنا انهُ جارى في الكتابة اهل جلدتهِ فصنَّف في السريانية والعربيَّة عدداً وافراً من التصانيف كلُّها ناطقة بفضلهِ نشر منها العلماء قسماً صغيراً فقــط . واوَّل هذه المصنفات الجليلة تاريخ نفيس ضمنَّه ماجرى في الشرق من الحوادث منذ سنة ٢٥ ميلاديَّة الى سنة ١٠١٨ . وهو مكتوب بالسريانيّة وقد عرَّبه المؤلف بنفسه وفيه من الفوائد عن النصرانيَّة في بلاد العراق وما بين النهرين مايندر وجوده في سواه . إلاَّ ان صروف الدهر قد ذهبت بقسم صالح من هذا الكتاب فلم يبق منه سوى ثلثهِ وقد تولى نشره العلامتان بيثغن (Baethgen) فـــي ليبســـيك ســـنة ١٨٨٤ولامي (Lamy) في بروكسل سنة ١٨٨٨نقلاه عن نسخة يرقى عهدها الـــى زمـــن المؤلـــف مصونة في المتحف البريطاني وهي مكتوبة على عمودين سرياني فعربي مع جداول عديدة فيها اسماء الأحبار الرومانييّن وبطاركة الاسكندرية وانطاكية وجثالقة النساطرة وملوك الدول الشرقية .

ومن تآليفه كتاب القوانين البيعية في اربعة اقسام اودعه مجموع الفتاوى والترتيبات الكنسيَّة التي قررها الآباء في المجامع السابقة وقد تعقَّب آثار البطرك اليَّا الاول معاصره الـــذي وضـــع مجموعـــاً واسعاً لهذه القوانين . وكلا التأليفين بالسريانيَّة .

وله ايضاً مختصر سرياني في تقسيم الوراثة لخَّصه عن تأليف لايليَّا الاول في الموضوع نفسه . (راجع المكتبة الشرقيَّة للسمعاني الجزء الثالث ص ٢٦٧-٢٦٩) .

وممّا ألفه فاجاد فيه : الترجمان[٦٣] في تعليم لغة السريان ، وهو مع صغر حجمه جـــامع لأصـــول اللغة الآراميَّة وكان النساطرة قد اتخذوه كدستور بنوا عليهِ تعليم احداثهم . ومنهُ نسخ عديدة حتى اليوم في خزائن الكتب الشرقيَّة في اوربا . وقد اطلعنا السيد المفضال المطران اليّا ميلوس في ماردين على نسخة غاية في الضبط والاتقان منهُ . وهذا التأليف نشره المستشرق الشهير دي لاكّرد سنة ١٨٧٩ في مجموع له دعاه "Praetermis-sorum libri duo" .

ومنها ايضا معجم في المفردات السريانيَّة مع ترجمتها الى العربية عُني بطبعه في رومية العظمى سنة ١٦٣٦الأب الفرنسيسي توما دي نوفاريه واضاف اليه شرحاً باللاتينيـــة فســـماه : Thesaurus "arabico-syro-Iatinus" .

ولايليا النصيبيني قصائد وميامر بالشعر ادخل النساطرة قسماً منها في فرائضهم الدينية . وفي كتاب الكنز الثمين للاب جبرائيل قرداحي مثالٌ يدلُ على وجود قريحة مؤلفه هذا اوّلهُ :

ܒܚܝܠܐ ܥܘܕܪܢܐ ܥܒܘܕܢ   ܚܝܠ ܘܥܕܪ ܠܡܚܝܠܘܬܢ

بيِحلا عودرنا عبودَن   حَيل وعَدَر لمحِيلوتَن

ومن تآليفه الحسنة : رسالة في العفة وجّهها الى أخيه الشيخ أبي سعد منصور بن عيسى وصـــف فيها فضيلة العفاف وماينجم عنها من الفوائد العظمى مع بيان مايعين على دفع الشهوة وقد اثبت قولـــهُ ببراهين عقلية ونقلية . قال ابو البركات في كتاب مصباح الظلمة : " ورَّصعها باخبار نادرة ومآثر عن الحكماء والرهبان صادرة وأبلغَ في تأليفها وأحسنَ في تصنيفها " . وفي المكتبة الواتيكانية [الفاتيكانية] وغيرها نسخ عديدة من هذا التأليف . وقد اهدانا حضرة الخوري بطرس عزيز النائب البطريركي على الكلدان في حلب نسخة جيدة منهُ .

ومن تآليفه الدينية كتاب البرهان على صحيح (ويروى: في تصحيح) الايمـــان . وهـــذا الكتـــاب مصون ايضاً في المكتبة الواتيكانية [الفاتيكانية] وقد سقط عنهُ اسم مؤلفه فوصفه السمعاني في المكتبة الشرقية (ج٣ص٣٠٣-٣٠٦) دون ان يتحقق صاحبهُ . وقد اسعد الحظ احد علمـــاء الالمـــان اســـمهُ

هورست (L.Horst) على وجود نسخة منه صحيحة نقلها الى الالمانية وطبعها في كولمار سنة ١٨٨٦ . وفي هذا الكتاب فصول يدافع فيها ايليًا عن شيعته النسطورية .

ومنها رسالة التثليث والتوحيد ذكرها ابو البركات القبطي في كتابه مصباح الظلمة ولم نقف لها على اثر . ولعلها مفقودة .

ويلحق بتصانيفه الدينية كتاب آخر منه في مكتبتنا الشرقية نسخة حسنة كُتب في صدره " رسالة انشأها الأب انبا ايليًا مطران نصيبين واعمالها للاستاذ ابي العلاء المؤتمن صاعد بن سهل الكاتب يذكر فيها المجالس التي جرت بينهُ وبين الوزير ابي القاسم الحسين ابن [بن] علي المغربي لمَّا قدم نصيبين سنة ٤١٩هـ (١٠٢٩م) [٦٤] وعددها سبعة مجالس" وهي فصول على طريقة السؤال والجواب في المذهب النصراني وعقائده واسراره .

ومنها ايضاً " تفسير الامانة الكبيرة التي اجتمع على عقدها الثلثمائة والثمانية عشر ابا ممن اختارهم قسطنطين قيصر الروم"وصفهُ السمعاني عن نسخة الواتيكان [الفاتيكان] في مكتبته الشرقية (ج٣ص٥٠٨) وهذا التفسير كتبهُ ايليًا بالعربية .

وله ايضاً رسائل اخرى بالسريانية لاحاجة الى ذكرها .[٦٥]

ملحق رقم (٢)

المخطوطات العربيَّة في خزانة كلّيتنا الشرقيَة

للاب لويس شيخو اليسوعي [٦٦]

الكتبة الكلدان

... (٩٨) كتاب مجلد تجليداً حديثاً بورق ملون ابيض طولهُ ٢٠ س في عرض ١٣س صفحاته ٨٧ وفي الصفحة ١٦ سطراً . وهو مكتوب كتابة حديثة جلية عن نسخة حلبية واسم الكتاب ((رسالة انشأها ايليا مطران نصيبين واعمالها للاستاذ ابي العلاء صاعد بن سهل الكاتب يذكر فيها المجالس التي جرت بينهُ وبين الوزير ابي القسم [القاسم] الحسين بن علي المغربي)) وهي في سبعة فصول ضمَّنها مؤلفها مجمل معتقدات النصارى في التوحيد والتثليث والتجسد واثبات مذهب النصارى من موجب العقل والمعجز . وهذه المجالس شهيرة منها نسخ متعددة في مكاتب اوربة لا سيما الفاتيكان وباريس . وفي الشرق عدة نسخ كمكتبة الموارنة في حلب ومكتبة السريان في الشرفة . ونسختنا هذه مضبوطة كاملة جاء في آخرها اسم ناسخها وتعريف اصلها : ((يارب سامح الناسخ المسكين بخطاياه : كِلِمَنْتي كراچلي . وقع الفراغ من نسخها يوم الثلاثاء المبارك في اواخر شهر تشرين الاوَّل سنة ١٧١٤ . وقد نسخ في مدينة رومية من نسخة عتيقة مكتوبة في يوم الجمعة الخامس والعشرين من شهر آب سنة ١٢٤٢ للتجسد الالهي لذكره السجود والاكرام)) . وقد تم تحريرها حديثاً في اوَّل شهر ايلول سنة ١٨٢٦ بيد فرج الله نجل الخواجه جرجي حمصي بمدينة حلب .

اما مؤلف هذه الرسالة فهو احد كتبة النساطرة الاجلاَّء ايليًا النصيبيني او ايليا برشينا[٦٧] أزهرَ في القرن الحادي عشر لهُ عدَّة تآليف في السريانيَّة والعربيَّة منها دينية ومنها لغويَّة وعلميَّة نظماً ونثراً كانت وفاتهُ سنة ١٠٥٦[٦٨] . اما الوزير حسين بن علي المغربي [٦٩] فترجمتهُ في كتاب وفيات الاعيان لابن خلكان . توفي سنة ٤١٨هـ (١٠٢٨م) .

(٩٩) قطعة قديمة جدًّا من التأليف السابق طوله ١٧ س في عرض ١٣س عدد صفحاتها ٤٠ وفي الصفحة ١٣ سطراً . وهذه القطعة تتضمَّن النصف الاخير من مجالس ايليا النصيبيني . ويظهر من ورقها وكتابتها انَّها من آثار القرن الثالث عشر . وجدناها في ماردين سنة ١٨٩٥ .

(١٠٠) كتاب مجلَّد بجلد اسود قديم طولهُ ١٥س وعرضهُ ١١س صفحاتهُ ٢١٣ وفي الصفحة بين ١٥ الى ٢٠ سطراً مكتوب بخطّ نسخيّ بسيط وهذا الكتاب بيع في العام الجاري[٧٠] في بيروت . وهو

يحتوي مجالس ايليا النصيبيني السابق ذكرها الاّ انهُ قد سقط من اوّلها قسمٌ . منها في هذا الكتاب ٧٢ صفحة ...

(١٠١) كرّاس طولهُ ٢٣س في عرض١٨س مكتوب ومجلّد حديثاً صفحاتهُ ٢٩ . وفي الصفحة ١٨ سطراً . مضمونهُ كتاب آخر شهير لايليا النصيبيني اعني رسالتهُ " في العفة " وهي رسالة جليلة وجَّهها لاخيهِ الشيخ الجليل أبي سعد منصور بن عيسى يبين فيها انَّ شهوة النساء مع كونها طبيعية يمكن الانسان ان يردّها ويكبحها باسباب كثيرة عدّ منها عشرة اخصُّها التدّين وخوف الله والعقل وعشق العلوم ومواعظ الحكماء وقد ضرب لكل باب مثلاً . ومن هذا الكتاب نسخ عديدة في عدَّة مكاتب . ونسختنا نقلها سنة ١٩٠٠ حضرة الخوري الفاضل بطرس عزيز عن نسخة حلبية قديمة ...

– مقالة في الصلاة ومنافعها ، تأليف : اليا مطران نصيبين .

ملحق رقم (٣)
دراسات عن مار ايليا مطران نصيبين
ومؤلفاته ومجالسه السبعة مع الوزير المغربي
إعداد : أ.د. محمد كريم ابراهيم الشمري

<u>**أولاً : المؤلفات الحديثة**</u>

* ابراهيم ، محمد كريم .
١– بنو المغربي ودورهم السياسي والاداري خلال القرنين الرابع والخامس الهجريين . رسالة ماجستير في التاريخ الاسلامي ، قدمت الى مجلس كلية الآداب / جامعة بغداد ، نوقشت بتاريخ ١٩٧٦/٦/١٧م ، ص ٢٢-٢٣ ،٣٠٨-٣٠٩ .
* حبي ، د.يوسف .
٢– فهرس المؤلفين ، تأليف : عبد يشوع الصوباوي ، (ت : ٧١٨هـ / ١٣١٨م) ، حققه ونقله الى العربية وعلق عليه : د. يوسف حبي ، مطبوعات المجمع العلمي العراقي / الهيأة السريانية ، (بغداد ، د.ت) ، ص ٢٢٧-٢٢٨ هامش المحقق .
٣– معجم الأدب السرياني ، منشورات المجمع العلمي العراقي (هيأة اللغة السريانية – لجنة المعجم) ، مطبعة المجمع العلمي العراقي ، (بغداد ، ١٤١٠هـ /١٩٩٠م) ، ص ٢٥٥-٢٥٦ .
* حداد ، الاستاذ بنيامين (المحقق) .
٤– الترجمان ، تأليف ايليا برشينايا (أسقف نصيبين) ، ت : ٤٣٨هـ / ١٠٤٦م ، منشورات دار المشرق ، الطبعة الاولى ، مطبعة خاني ، (دهوك ، ٢٠٠٧م) ، ص ٢١-٢٤/ مقدمة المحقق .
* عباس ، د. إحسان .
٥– الوزير المغربي أبو القاسم الحسين بن علي / العالم الشاعر الناثر الثائر ، منشورات دار الشروق ، الطبعة الاولى ، (عمّان ، ١٩٨٨م) ، ص ٧٥-٨٨،٧٧ ، ٢٤٣ .
* يوسف ، عبد الرقيب .
٦– الدولة الدوستكية في كرستان الوسطى ، ج ١ ، الطبغة الاولى ، مطبعة اللواء ، (بغداد ، ١٩٧٢ م) ، ص ١٩٠-١٩٦ .

ثانيا : الدوريات العربية

* حداد ، الاب د. بطرس .
٧- نسخة نفيسة من كتاب ((دفع الهم)) لإيليا مطران نصيبين ، بين النهرين ، العددان : ٥٥-٥٦ ، السنة : ١٤ ، (بغداد ، ١٩٨٦م) ، ص ٩٢-١٠٠ .
* دلي ، المطران عمانوئيل .
٨- إيليا برشينايا مطران نصيبين (ت : ١٠٤٦م) ، بين النهرين ، العدد : ٤٣ ، السنة : ١١ ، (بغداد ، ١٩٨٣م) ، ص ١٦٣-١٧٦ .
٩- مجالس إيليا برشينايا مطران نصيبين ، بين النهرين ، العدد : ٤٤ ، السنة : ١١ ، (بغداد ، ١٩٨٣) ، ص ٣٨١-٤٠٢ .
١٠- مجالس ايليا برشينايا مطران نصيبين ، بين النهرين ، العدد: ٩٧-١٠٠ (عدد خاص – اليوبيل الفضي ١٩٧٢-١٩٩٧) ، السنة : ٢٥ ، (بغداد ، ١٩٩٧م) ، ص ١٦٣-١٧٠.
* شيخو ، الأب لويس (اليسوعي) .
١١- ايليا النصيبيني وكتاب دفع الهم ، المشرق ، العدد : ٨ ، السنة : ٥ ، (بيروت ، ١٩٠٢م) ، ص ٣٣٧- ٣٤٣.
١٢- مجالس ايليا مطران نصيبين ، المشرق ، الاعداد : ١-٥ ، السنة :٢٠ ، (بيروت ، ١٩٢٢م) ، وهي : ١/٣٥-٤٤ ، ٢/١١٢-١٢٢ ، ٣/ ٢٦٧-٢٧٢، ٤/٣٦٦-٣٧٧، ٥/٤٢٥-٤٣٤.
١٣- المخطوطات العربية في خزانة مكتبتنا الشرقية ، المشرق ، العدد : ٨ ، السنة : ٩ ، (بيروت ، ١٩٠٦م) ، ص ٣٧٥-٣٧٦.

هوامش البحث وتعليقاته :

(١) راجع عن : التوطئة والرسالة والفصل الاول ، بما نصه : ((يتضمن ذكر ماجرى في المجلس الاول من الكلام والمسائل والجوابات في التوحيد والتثليث)) : شيخو ، الاب لويس . مجالس ايليا مطران نصيبين ، المشرق ، العدد (١) ، (بيروت ، ١٩٢٢م) ، ص ٣٣-٤٤ .

(٢) الصحيح ان وفاة مارإيليا سنة ٤٣٨هـ /١٠٤٦م ، وليس: ١٠٤٩م ، وبخصوص ترجمة مارإيليا المنشورة في مجلة المشرق ، العدد (٥) سنة ١٩٠٢م ، ص ٣٣٧-٣٤٣، فقد ألحقناها ببحثنا هذا . (م.ك) .

(٣) الصواب : ان سنة ٤١٧هـ تقابلها سنة ١٠٢٦م ، وليس ١٢٠٦ كما ورد في المتن . (م .ك)

(٤) يريد بذلك دستور الايمان الذي قرره المجمع النيقاوي سنة ٣٢٥. راجع أصلاً : هامش (١) ص ٤٣ .

(٥) في كلام ايليا هنا بعض الالتباس . فانه يُشعر ببدعته النسطورية التي تجعل للسيد المسيح اقنومين قائمين بذاتهما . والصواب ان المسيح ذات واحدة واقنوم واحد ومايقوله هنا عن يسوع البشري وعن الكلمة الأزلية لايصح الا على الطبيعتين أي الناسوت واللاهوت في يسوع المسيح . فسواء قيل يسوع او قيل المسيح فكلاهما الرب الواحد والاله الازلي المولود من الأب قبل كل الدهور من حيث طبيعته الالهية والمولود في الزمان من مريم العذراء من حيث الطبيعة البشرية ، فسواء قيل يسوع ام قيل المسيح فالمراد واحد أي ابن الله الأزلي المتخذ في الزمان الطبيعة البشرية القائمة باقنومه الالهي الوحيد والمتحدة بطبيعته الالهية . وبهذا ايضاً يسقط ماورد في بعض النسخ تأييداً لمذهب النسطورية فضربنا عنه صفحاً . راجع اصلاً هامش (١) ص ٤٤.

(٦) عن المجلسين الثاني والثالث ، راجع : شيخو، الاب لويس . مجالس إيليا ، المشرق: العدد (٢) ، (بيروت ، ١٩٢٢م) ، ص ١١٢-١٢٢ .

(٧) هذه البدعة النسطوريَّة بعينها فانّها تجعل المسيح انساناٍ اتحد معهُ الله اتحاداً عرضياً . وليس حلول الوقار والرضا والمشيئة الاَّ اتحاداً عرضياً لا يختلف عن اتحاد الله مع الانبياء والابرار الاّ في الدرجة فقط . وان كان الامر كذلك بطل كلّ سرّ تجسُّد ابن الله وكل سرّ الفدى . والصواب انّ اللاهوت كلَّهُ بجوهرهِ واقنوم ابن الله قد حلّ في السيد المسيح وان كان حلولهُ لم ينحصر في شخص السيّد المسيح لوجوده كإله في كلّ مكان . وقد قام لهُ جوهرهُ وذاتهُ الإلهيان مقام الأقنوم البشري بحيث يجوز أن يُنسب الى الله كل فعل يفعلهُ المسيح سواءً كان

بطبيعتهِ إلالهيَّةِ او بطبيعتهِ البشريّة فيجوز القول انّ الهاً ولد في بيت لحم من مريم العذراء التي يحقّ لها ان تُدعى امّ الله وانَّ الهاً مات على الصليب كما يقال انَّ الهاً صنع المعجزات وشفى المرضى واقام الموتى . لنا في ذلك مثال حسن في الانسان وتركيبهِ من جسد ونفس اذ يُعزى الى شخص واحد ما تصنعه النفس كالفكر والارادة وما يصنعهُ الجسد كالأكل والنوم .راجع اصلاً هامش (١) ص ١١٣ .

(٨) هذا الاعتراض في موقعهِ وهو يبطل المزاعم النسطوريَّة من اصلها .(ل . ش) . هامش (٢) ص ١١٣ .

(٩) ليس هذا الجواب مقنعاً طالما يبقى هذا الحلول متفاوتاً بالدرجة فقط ويُعتبر حلول الله في السيد المسيح حلول وقار ورضاً ومشيئة . ولا يفيدهُ استنادهُ الى كلام الانجيل ((أَصعد الى ابي وابيكم والهي والهكم)) فانَّ هناك اشارة الى طبيعته التي تم صعودها في ذلك اليوم الى السماء ورافقت الطبيعة الالهيَّة التي لم تبرح السماء . فدعى الله أباه والههُ بالنسبة الى طبيعته البشرية وان صح ذلك أيضاً بالنسبة الى بنوته الازليَّة من الآب واشتقاق لاهوته ازلياً منهُ . هامش (١) ص ١١٤ .

(١٠) فهذا ينقض قولهُ السابق . لانهُ لايمكن اتحاد الكلمة مع ناسوت المسيح بحيث يصيرمسيحاً واحداً الاّ بأن يكون الاتحاد جوهرياً في ذات اقنوم ابن الله . (ل . ش). هامش (٢) ص ١١٤ .

(١١) او بالحري وجب أن يكون ذلك الحلول اتحاداً ذاتياً جوهرياً بابن الله . هامش (٣) ص ١١٤ .

(١٢) ادريس عند المسلمين هو على رأي البعض احنوخ الذي ذكرهُ سفر التكوين (٥: ٢١-٢٢) وعلى رأي غيرهم النبيّ مار الياس الذي توارى في العلوّ على مركبة نارية (٤ملوك ٣: ١١) . هامش (٤) ص ١١٤ .

(١٣) ان الانبياء معصومون عن الضلال في وحيهم ولكن ليسوا معصومين عن الخطيئة . فان الاسفار المقدسة تذكر خطايا لبعض الانبياء كداود وسليمان . (ل . ش) . هامش (٥) ص ١١٤ .

(١٤) وهذا يقتضي ان يكون اتحاد كلمة الله بناسوت المسيح اتحاداً ذاتياً باقنوم ابن الله على خلاف ما زعم صاحب المجالس . ألاترى في الإنجيل انَّ السيِّد المسيح ينسب الى نفسهِ كلَّ صفات اللاهوت بل يؤكد انَّهُ هو والآب واحِد (يوحنا :٣). وهذا كله يسقط لو كان الاتحاد بالوقار والرضا والمشيئة فقط كما يزعم النساطرة (٠ل. ش) . هامش (١) ص ١١٥ .

(١٥) قولهُ ان المسيح وآدم تساويا في الجوهرية والبشريَّة يُشعِر ايضاً بالبدعة النسطوريّة فانّ جوهر المسيح هو ذات جوهر ابن الله وجوهر الاقنوم الثاني الالهّي الذي اتّخذ الطبيعة البشرية بكل خواصها ونقائصها وعللها الاّ الخطيئة وضمّها الى طبيعتهِ الالهيَّة .(ل . ش). هامش (٢) ص ١١٥ .

(١٦) ورد في الأصل : (سورة آل عمران ، ع ٤١-٤٣) ، والصحيح : آل عمران ، الآيات : ٤٦-٤٩ ، ونصها : ((ويكلم الناس في المهد وكهلاً ومن الصالحين . قالت رب أنى يكون لي ولد ولم يمسسني بشر قال كذلك الله يخلق ما يشاء إذا قضى أمراً فانما يقول له كن فيكون . ويعلمه الكتاب والحكمة والتوراة والانجيل . ورسولاً الى بني اسرائيل أني قد جئتكم بآية من ربكم أني أخلق لكم من الطين كهيئة الطير فأنفخ فيه فيكون طيراً بإذن الله وأبرىء الأكمه والأبرص وأحيي الموتى بإذن الله وأنبئكم بما تأكلون وما تدخرون في بيوتكم إن في ذلك لآية لكم إن كنتم مؤمنين)) . (م . ك)

(١٧) ويضاف الى قولهِ انَّ موسى لم يمكنهُ ان يمنح لغيرهُ صُنعْ المعجزات على خلاف السيد المسيح الذي اعطى لتلاميذهِ تلك النعمة ففعلوا كما فعل المسيح بل اجترحوا باسمه معجزاتٍ لم يجترحها هو كما كان وعدهم بذلك . (ل . ش). هامش (١) ص ١١٦ .

(١٨) ورد في الأصل : (سورة مريم ، ع ٥٧ -٥٨) ، والصحيح : مريم ، الآيتان : ٥٦-٥٧ ، ونصهما : ((واذكر في الكتاب ادريس انه كان صديقاً نبياً . ورفعناه مكاناً علياً)). (م. ك)

(١٩) ورد في الأصل : (سورة آل عمران ع ٤٨) ، والصحيح : آل عمران ، الآية : ٥٥ ، ونصها : ((اذ قال الله ياعيسى اني متوفيك ورافعك اليَّ ومطهرك من الذين كفروا وجاعل الذين اتبعوك فوق الذين كفروا الى يوم القيامة ثم اليَّ مرجعكم فأحكم بينكم فيما كنتم فيه تختلفون)) . (م. ك)

(٢٠) ليست هي فقط متميزة بل هي مختلفة جداً عنهم لان حلول الله في الانبياء انماً كان عرضياً موقتاً ادبياً بخلاف حلول الكلمة في ناسوت السيّد المسيح الذي كان ذاتياً جوهرياً ازلياً بحيث يقوم اقنومهُ الالهي فيهِ مقام الذات البشريَّة جامعاً بين الطبيعتين الكاملتين الالهيَّة والانسانيَّة . (ل . ش) . هامش (١) ص ١١٧ .

(٢١) ورد في الأصل : (سورة المائدة ع ٧٧) ، والصحيح : سورة المائدة ، الآية : ٧٣ ، ونصها : ((لقد كفر الذين قالوا إن الله ثالث ثلاثة وما من إله إلا إله واحد وإن لم ينتهوا عما يقولون ليمسَن الذين كفروا منهم عذاب أليم)) . (م . ك)

(٢٢) المرقيونيَّة شيعة مرقيون المبتدع الذي عاش في القرن الثاني للمسيح . والديصانيَّة مذهب بَرْديصان (اطلب المشرق ١٨ (١٩٢٠) : ٩٧٧- ٩٩٢) . والمانوية بدعة ماني الذي ظهر في العجم في القرن الثالث للميلاد . امَّا

الطريثونية فبدعة لبعض الهراطقة في القرن الرابع مشتق اسمها من اللاتينية (Tritheismus) أي القائلون بثلاثة آلهة . هامش (١) ص ١١٨ .

(٢٣) ورد في الأصل : (سورة البقرة ، ع ٥٩) ، والصحيح : البقرة ، الآية : ٦٢ . (م.ك)
(٢٤) ورد في الأصل : (سورة آل عمران ع ٧٩) ، والصحيح : آل عمران ، الآية : ٨٥ . (م . ك)
(٢٥) ورد في الأصل : (سورة المائدة ع ٥) ، والصحيح : المائدة ، الآية : ٣ ، ونصها : ((... اليوم أكملت لكم دينكم واتممت عليكم نعمتي ورضيت لكم الإسلام ديناً ...)) . (م . ك)
(٢٦) ورد في الأصل: (سورة البقرة ع ٢٢٠) ، والصحيح : البقرة ، الآية : ٢٢١ .(م . ك)
(٢٧) ورد في الأصل : (سورة آل عمران ع ١٩٠) ، والصحيح : آل عمران ، الآيتان : ١١٣-١١٤ . (م. ك)
(٢٨) في الأصل : الى ، والصحيح : في . آل عمران ، الآية : ١١٤ .(م. ك)
(٢٩) في الأصل : (سورة الحج ع ٤١) ، والصحيح : الحج ، الآية :٤٠.(م . ك)
(٣٠) في الأصل : جوامع . والصحيح : صوامع . الحج ، الآية : ٤٠. (م . ك)
(٣١) في الأصل : (سورة المائدة ع ٧٠) ، والصحيح : المائدة ، الآية : ٦٦ ، ووردت في الأصل كلمة (كثيراً) ، والصحيح : كثير . (م . ك)
(٣٢) في الأصل : (سورة المائدة ع ٨٥) ، والصحيح : المائدة ، الآية : ٨٢. (م . ك)
(٣٣) في الأصل : (سورة المائدة ع ٧) ، والصحيح : المائدة ، الآية : ٥ (م . ك)
(٣٤) عن المجلسين الرابع والخامس راجع : شيخو ، الاب لويس . مجالس ايليا مطران نصيبين ، المشرق ، ع (٣) ، (بيروت ، ١٩٢٢م) ، ص ٢٦٧-٢٧٢ .
(٣٥) راجع في المشرق (١٦[١٩١٣]:٧٥٤-٧٧٣) مقالتنا في تنصر قدماء الترك والمغول . هامش (١) ص ٢٦٨ .
(٣٦) من المحتمل ان الخبر الآتي ليس بالمعجزة اذا أمكن الراهب ان يعرف الامر من احد الغرباء . وفي النصرانية من المعجزات الصحيحة عدد لايحيط به احصاء مما لايمكن نسبته الا الى الله . هامش (١) ص ٢٦٩ .
(٣٧) حسام الدولة هو المقلد بن السيد من بني عقيل اصحاب العراق والجزيرة تولى الامر في الموصل سنة ٣٨٦هـ وقتله الاتراك سنة ٣٩١ (٩٩٦-١٠٠٠م) وكان جناح الدولة وزيره ، اما ابو الحسين بن السرور فلم نجد له ذكراً في التاريخ . هامش (٢) ص ٢٦٩ .
(٣٨) يريد ابا العلاء صاعد بن سهل المذكور في اول المجالس . اما المقالة التي يشير اليها هنا فقد سبق حضرة الاب لويس معلوف بنشرها في المشرق (اطلب المقالات الدينية القديمة ص ١٢٩) . هامش (١) ص ٢٧٢ .
(٣٩) شيخو. مجالس ايليا ، المشرق ، العدد :٤ ، (بيروت ،١٩٢٢ م) ، ص ٣٦٦-٣٧٧ .
(٤٠) في الأصل : (سورة آل عمران ع ٥) ، والصحيح : آل عمران ، الآية : ٧. (م. ك)
(٤١) في الأصل : (قالوا : آمنا) ، والصحيح : ((يقولون آمنا)) . (م . ك)
(٤٢) يريد المبتدأ مع بدله ((غلام عمرو)) . هامش (١) ص ٣٦٩ .
(٤٣) في الأصل : (سورة الملائكة ع ٢٥) ، والصحيح : فاطر ، الآية : ٢٨ .(م . ك)
(٤٤) في الأصل : سورة البقرة (ع ٢٦١) ، والصحيح : البقرة ، الآية : ٢٥٩ . (م . ك)
(٤٥) في الأصل : سورة الحج (ع ٦١) ، والصحيح : الحج ، الآية : ٦٢ . (م . ك)
(٤٦) لعل هذا هو المجلس السابع الذي لم يحدده شيخو . راجع : المشرق ، العدد : ٥ (بيروت ، ١٩٢٢م) ، ص ٤٢٥-٤٣٤ .
(٤٧) يريد الطيران الطبيعي لا الطيران الصناعي بالادوات كما نرى في عهدنا . هامش (١) ص ٤٢٦ .
(٤٨) يريد بالزَّجر التفاؤل بطيران الطائر ميامنةً او مياسرة . هامش (٢) ص ٤٢٦ .
(٤٩) الفأل : التيمُّن بالخير . هامش (٣) ص ٤٢٦ .
(٥٠) علم الكاف هو علم الكيميا القديمة المبنيَّة على الأوهام غالباً (I'AIchimie). هامش (٤) ص ٤٢٦ .
(٥١) الكهانة : السحر . هامش (٥) ص ٤٢٦ .
(٥٢) الزرَّاف : السريع الحركة كالمشعوذ . هامش (١) ص ٤٢٧ .
(٥٣) يريد بالمجوس عَبدة الشمس والنار وبالهند اهل الهند الوثنيين وبالصابئين عبدة السيارات والكواكب . هامش (٢) ص ٤٢٧ .
(٥٤) انَّ في الأحلام قسطاً كبيراً للمخيلة التي هي من القوى المشتركة بين النفس والجسد كالذاكرة . هامش (١) ص ٤٣٠ .
(٥٥) ليس من مانع يمنع الرهبان ان يطلبوا ايضاً هذه الخيرات الزمنيَّة بشرط الرضى بمشيئتهِ تعالى وانما يفضّلون التماس الخيرات الروحيَّة . هامش (١) ص ٤٣١ .

(٥٦) أراد بهِ ابا نَصر احمد بن مَروان الكردي صاحب ديار بكر ومياَّفارقين لقَّبهُ القادر بالله الخليفة العبَّاسي : نَصر الدولة وملك بلاد دياربكر اثنتين وخمسين [سنة] وكانت وفاتهُ سنة ٤٥٣هــ وقد قارب الثمانين من عمره وكان موفقاً في امورهِ عادلاً كبير الثروة . هامش (٢) ص ٤٣١ .
(٥٧) يظهر انهُ اخٌ ثانٍ لمطران نصيبين غير الذي وَّجه اليهِ رسالتهُ وانهُ كان متطبباً. هامش (١) ص ٤٣٢ .
(٥٨) قد عُرف كثيرون من الأساقفة باسم : شمعون ولا نعلم ايَّهم أراد هنا . هامش (٢) ص ٤٣٢ .
(٥٩) العلاَّمة البغداديَّ النسطوري أبو الفرج المعروف بــ : ابن الطيب الذي ذكرنــــا سابقـــاً تآليفهُ (راجع العدد الثالث من السنة الحاليَّة ص٢٨٤) . هامش (١) ص ٤٣٣ .
(٦٠) وردت هذه الترجمة في نهاية مجالس مارإيليا ، المشرق ، العدد : ٥ ، (بيروت ، ١٩٢٢م) ، ص ٤٣٤ .
(٦١) ربما قصد (٤٦) سنة ، والصحيح : ٤٨ سنة ؛ لأن الوزير المغربي ولد سنة ٣٧٠ هــ وتوفي سنة ٤١٨هــ . (م . ك)
(٦٢) المشرق ، العدد : ٨ ، (بيروت ، ١٩٠٢م) ، ص ٣٣٧-٣٤١. وهنالك دراسة للأب د٠ بطرس حداد ، بعنوان : نسخة نفيسة من كتاب ((دفع الهم)) لإيليا مطران نصيبين ، بين النهــرين ، العــددان : ٥٥-٥٦ ، (بغــداد ، ١٩٨٦م) ، ص ٩٢-١٠٠ .
(٦٣) حققه الاستاذ بنيامين حداد ، بعنوان : الترجمان ، منشورات دار المشرق الثقافية ، الطبعة الاولى ، مطبعة خاني ، (دهوك، ٢٠٠٧م) ، في ٢٥١صفحة .
(٦٤) هذا غير دقيق ؛ لأن الوزير الحسين بن علي المغربي توفي بمدينة ميافارقين سنة ٤١٨هــ / ١٠٢٧م. (م٠ك)
(٦٥) راجع عن كتاب: دفع الهم ونسبته الى مارإيليا أو غيــره : المشـــرق ، العــدد : ٨ ، (بيــروت ، ١٩٠٢م) ، ص ٣٤١-٣٤٣ .
(٦٦) المشرق ، العدد :٨ ، السنة التاسعة ، (بيروت ، ١٩٠٦م) ، ص ٣٧٥-٣٧٧ .
(٦٧) اطلب المكتبة الشرقيَّة للسمعاني (Assemani III , p . 266-274) . هامش (١) ص ٣٧٦ .
(٦٨) الصواب : وفاته سنة ٤٣٨هــ /١٠٤٦م . (م.ك)
(٦٩) ورد في الأصل : الغربي ، والصحيح : المغربي ، وهو : الوزير الحسين بن علي بن الحسين بن علي بن محمد المغربي ، المتوفى سنة ٤١٨هــ /١٠٢٧م . (م.ك)
(٧٠) قصد عام ١٩٠٦م الذي صدرت فيه مجلة المشرق ، العدد (٨) ، السنة التاسعة ، (بيروت ، ١٩٠٦م) . (م.ك)

مصادر البحث ومراجعه :

١. القرآن الكريم .
* حداد ، الاب د. بطرس .
٢. نسخة نفيسة من كتاب ((دفع الهم)) لايليا مطران نصيبين ، بين النهرين ، العددان : ٥٥ – ٥٦ ، السنة : ١٤ ، (بغداد ، ١٩٨٦م) .
* شيخو ، الأب لويس (اليسوعي) .
٣. ايليا النصيبيني وكتاب دفع الهم ، المشرق ، العدد : ٨ ، السنة : ٥ ، (بيروت ، ١٩٠٢م) .
٤. المخطوطات العربية في خزانة مكتبتنا الشرقية ، المشرق ، العدد : ٨ ، السنة : ٩ ، (بيــروت ، ١٩٠٦م) .
٥. مجالس ايليا مطران نصيبين ، المشرق ، الاعداد : ١ – ٥ ، السنة : ٢٠ ، (بيروت ، ١٩٢٢م) .

ملاحظـــة : رتبنا عنوانات بحوث الأب لويس شيخو وفق تسلسل إصدارها في مجلة المشرق البيروتية الغراء .

الرموز في الهوامش :

- ل.ش. ، يعني : لويس شيخو (اليسوعي) .
- م.ك. ، يعني : محمد كريم ابراهيم كاتب البحث (عميد كلية الآداب / جامعة القادسية) .
- ـــــــ كل كلمة تحتها هذا الخط في الهوامش والمصادر تعني : مجلة (دورية) .